السنة الرابعة والعشرون　　العدد ١　　كانون الثاني ١٩٢٦

المشرق

ذكرى وعبرة للانام في راس العام

نظر ديني ادبي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ رأس السنة في عُرف الانام، بين خاصٍ وعامٍ، هو الفاصل بين عامٍ مضى، وعامٍ دنا، هو الحاجز بين ما فات ومات فلن يعود، وبينما اقبل واستهلّ كالطفل المولود، هو الجامع بين بحرَين، والبرزخ بين عالَمين، عالمٍ دخل الابديّة، وعالمٍ خرج من اعماق الكون بتدبير العناية الصمدانيّة

فما أحرى بالانسان ان يقف برهةً على عتبة بابهِ فيلقي بنظرهِ الى ما وراءهُ يستفيد من ماضيهِ ذكرى ثم يوجّه الحاظهُ الى امامهِ فتكون لهُ بمراقبة مستقبلهِ عبرة

١　الذكرى

١　واوّل ما يتبادر الى ذهن الرقيب انَّ تلك السنة التي مرَّت بكليتهِ انضمَّت الى اخواتها مع ما رحل عنها في سالف الدهور. فلم يبقَ لها من وجود في غير علم الله. وقد اجاد الكتاب الكريم حيث قال عنها (سفر الحكمة ٥ : ٩-١٢) انها كانت «كالظلّ وكالخبر السائر. او كالسفينة الجارية على الماء المتموّج التي بعد مرورها لا تجد اثرها ولا خطّ حيزومها في الامواج. او كالطائر يطير في الجوّ بقوادمهِ ويشقّ الهواء بشدّة سرعتهِ ورفرفة جناحيهِ بعجلٍ فلا تجد لمرورهِ من علامةٍ او كسهمٍ يُرمى الى الهدف فيخرق بهِ الهواء. ولوقتهِ يعود الى حالهِ حتى لا يُعرف ممرّ السهم» كذلك السنة الفائتة مضت ولم يبقَ لها من اثر

٢　وما اعظم الشوط الذي جرَّتهُ وقطعهُ الانسان معها. اثنا عشر شهرًا دارت

فيها ارضنا حول الشمس ٣٦٥ مرةً بليف فبلغت من الساعات ٨٧٦٦ ساعة ومن الدقائق ٥٢٥،٩٦٠ دقيقةً ومن الثواني ٣١،٥٥٧،٦٠٠ ثانية كانت الواحدة كافية لفتح السماء للانسان لخلاصهِ السرمدي او للسقوط في دركات الجحيم لهلاكهِ الابدي ما اعظم ما كان نفعها لمن شاء. وما ارهب ما كان ضررها لمن اساء.

٣ قضت تلك السنة وانّما بقي للانسان ذكرى ما نالهُ من مراحم الله في مطاويه المنصرمة من النعم السابغة. فكم أمدّهُ الرب بخيراتهِ لمعاشهِ فسدّ كل حاجاته الجسديّة وافاض على نفسهِ هباتهِ السامية فانار عقلهُ وارشد خطواتهِ واثبت عزائمهُ وكل ذلك ممّا يستوجب شكرهُ تعالى. فان كان الانسان لا ينسى فضل المنعم عليهِ في عالمهِ فكم بالحري يجب عليهِ عرفان الجميل نحو خالقهِ الذي غمرهُ بنعمهِ في كل برهةٍ من حياتهِ وهو دون معونتهِ تعالى عاجز عن كل حركةٍ وعمل

٤ ومع ذكر نعم الله اليهِ لا بدَّ ان يعود الى فكرهِ ما جرى على يدهِ من الاعمال إن حسنةً وان سيئةً. فهذه الاعمال ليست كبقيّة ما مضى وقضى فلم يتخلّف لهُ من اثر فانَّ لها تتمةً مدوّنةً في دفتر الله وباقية ليوم الحساب اذ يدين الله الموتى. لأنَّ اعمالهم تابعةٌ لهم. كما قال الكتاب (رؤيا ١٤ : ١٣) . فما اطيب وما اشهى هذه الذكرى ان كانت اعمال الانسان صالحةً مبرورة فلن يضيع ثوابها حتى اصغرها شأناً ككاس الماء البارد المعطى باسم الرب (متى ١٠ : ٤٢). وعلى خلاف ذلك ما اشقّ وامرّ ذكرى تلك الاعمال ان لم تكن بموجب اوامر الله ومنطوق الضمير

٥ ويُضاف الى ما سبق ذكرى ما جرى في المجتمع البشري من احوال شتى منها مبهجة سارّة في عالم الدين والدنيا أصبنا منها حظّنا المشكور ومنها فاجعة ضارّة رزئ بها الجنس البشري وذقنا شيئاً من مرارتها كالحروب والاوبئة وضروب البلايا. فهذه كلّها ارسلها الله او سمح بها لخيرنا إمّا عقاباً لما فرط منّا من الشرور لننيب اليهِ تعالى بالتوبة النصوح. وأمّا امتحاناً كما يصنع الله بعبيدهِ تمحيصاً لفضيلتهم بنار التجربة فيزيد أجرهم يوم الجزاء.

٢ العبرة

ان كان للذكرى شأنها في نظر الانسان الى عامهِ السابق فانَّ في اعتبارهِ للعام

المقبل تعاليم ليست دونها شأناً يجب عليه التروّي بها

١ والعبرة الاولى تستوجب شكراً جديداً من الانسان لخالقه . هذه سنةٌ بلغتُها وكم من البشر مثلي كانوا يؤمّلون البلوغ اليها فلم تتحقّق آمالهم . ففي العام المنتهي مات نحو اربعين مليوناً من الناس في كل اطوار الاعمار ، اكبر واصغر مني سنّاً، اقوى واضعف مني بنيةً، ارفع واوضع مني قدراً، فان لم أحصَ في عدادهم فتلك منّةٌ لم استحقّها باعمالي وقد نلتُها من كرم ربي فانا رهين فضلهِ مُقيّد نحوهُ بتأدية واجب شكرهِ

٢ ولكن ما عسى ان تكون هذه السنة . فانّنا في اوّل يوم منها يتمنّى البعض منّا للبعض الآخر ان تكون لهم سنةً مباركة وان يبلغوا الى السنة المقبلة سالمين . وما ذلك سوى تمنيات لعلّها تصحّ اولا تصحّ على انّها تُشعرنا بحقيقة تستوجب اعتبارنا وتلك هي اننا لسنا اولياء امرنا وانّ حياتنا ومماتنا في يد مالكنا فهو القابض على مقاليدهما . فالواجب علينا ان نكرمهُ إكرام المخلوق لخالقه والعبد لسيّده

٣ فان كانت هذه السنة تحت تدبير ضابط عنان اموري وهو لم يُطلعني أأحيا فيها أم أموت أأتمتّع بها تاماً او بقسم منها فقط اذ يقدر ان يقطع حبل حياتي في كل ساعة منها وهو لم يوحِ اليَّ بساعة وفاتي فتنتج من ذلك عبرةٌ لي ان اعيش في هذه السنة برضاهُ ولا أحاول البتّة مخالفة وصاياه لئلّا يحلّ بي ذلك الويل الذي فاه به الربّ على العبد الشرّير الساهي من حساب سيّده بل احظى بالطوبى التي بشّر بها العبد الامين الذي يجدهُ سيّدهُ ساهراً عند قدومهِ (متى ٢٤ : ٤٧ــ٥١)

٤ فهبْ انّي احظى في هذا العام الجديد بكلّ ما اتمنّاهُ من راحة وسلام وهناء أفلا يرشدني داعي العِبرة الى امور تؤول الى اسعادي وتَعدل بي عن محجّة الشقاء والبلايا . هي سنة فسيحة المدى طويلة الزمان . فكم يمكنني ان آتي فيها من الحسنات ! يقول المثل الانكليزي «انّ الزمان نقدٌ» فان صحَّ هذا حتى في امور العالم كما نرى ذلك في ذوي الهمّة والنشاط الذين بجدّهم وعزمهم يصلحون احوالهم ويصيبون هناء العيش فكم بالحري يصحّ في امور الروح والادب فانّ الانسان ايّةً كانت حالهُ يستطيع ان يُصلح نفسه ويزينها بالفضائل والاداب ويؤهلها للسعادة الابديّة ان لم يحظَ بالسعادة الارضيّة الزائلة الكاذبة . تلك عبرة ان استفاد منها المرء أفعمت

قلبهُ طمأنينةً وسروراً بما يؤمّلهُ من الثواب يوم الحساب

٥ بل يستطيع المرء ان يستدرك ما فرط منهُ في حياته السابقة لكي لا يؤاخذ بها في يوم الدين فيكفّر عن آثامهِ وجهالاتهِ الماضية ويوفي عنها وفاء قريباً سهلاً باعمالهِ الصالحة ليخلص نفسهُ من تَبِعتها في العالم الآخر حيث العقاب غاية في الشدَّة والالم حتى لو نجا الخاطئ من العذاب الابدي في دركات الجحيم . فيا لها من صفقة رابحة ! يعطي الانسان القليل فيربح الكثير الوافر يدفع دريهمات زهيدة بدلاً من دَيْنه الباهظ المستوجب القصاص الطائل الاليم . نعمًا العبرة لذوي البصيرة والادراك ولو اعتبرها البشر لتسارعوا الى التشبُّث باسبابها

٦ وكذا يستطيع الانسان ان يجعل سنتهُ القبلة مفيدةً لنفسهِ بكنهُ بالاعتبار ان يفيد منها قريبهُ . قال الكتاب (ابن سيراخ ١٧ : ١٢) «انَّ الله اوصى كلَّ انسان بقريبهِ» . ففي الزمان المعطى لهُ من جودهِ تعالى يقدر ان يتمّ تلك الوصيَّة . فهذه اعمال الرحمة منها جسديَّة كإطعام الجياع وإرواء العطاش وإكساء العُراة وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين وايواء الغرباء . ومنها روحيَّة كتعليم الجهَّال وارشاد الضالّين والمشورة الصالحة . فبهذه الاعمال وغيرها يقوم الانسان بواجباتهِ وينال الطوبى من سيّدهِ في يوم الدين وهو يُعدّ كمُعطى لهُ كل ما أُعطي بإسمهِ لاحد الصغار والمحتاجين . فهذه عبرة من شأنها ان تسترق نظرهُ في مفتتح السنة الجديدة

٧ ثمَّ ان الانسان عضو من اعضاء العائلة البشريَّة والهيئة الاجتماعيَّة فعليهِ ان يقوم بخدمتها كما يقوم سواهُ بخدمتهِ . فلا احراهُ في بدء عامهِ بتدبّر واجباتهِ نحو ذاك المجموع في الحلقة الخصوصيَّة التي جُعل ضمنها والدعوة الالهيَّة التي عُهدت اليهِ لئلّا يكون في ذاك الجسم الكبير كالعضو العليل او البطّال . فهذه العبرة من شأنها ان تقوّي عزيمتهُ وان تلهمهُ بخدمات جديدة يمكنهُ ان يؤديها للمجتمع البشري

٨ وفي ذاك المجتمع الكبير دائرة اقرب الى المرء وهي وطنهُ الذي ربي فيهِ ونال من خيراتهِ الجمَّة أفلا يحقّ عليهِ ان يصرف اليهِ نظرهُ في اوَّل العام ويعتبر ما في طاقتهِ ان يقوم بهِ نحوه ليؤدي اليهِ بفرائض الشكر سواء كان بتعزيز قواهُ ام بإنماء ثروتهِ وترويج مصالحهِ وبالدفاع عنهُ في وجه اعدائهِ ومناصرة ابنائهِ ومحبّيهِ . فانَّ الله بوضعهِ شخصنا في احد المواطن وربطنا بهِ باواصر القرابة واشار الينا بحبّهِ وبهذا المعنى

يصحّ القول انّ حبّ الوطن من الايمان

هذه كلها من اسباب الاعتبار فترى انها واسعة متعددة كاسباب الذكرى فما للمرء في رأس كل سنة الّا ان يرتشد بها فيخلد في قلبه ذكرى الماضي ويتقدم بالنظر العبرة للمستقبل وبها ينال سعادة الدارين

قصر اسعد باشا العظم في دمشق

بقلم عيسى اسكندر المعلوف (مؤلف تاريخ الأُسر الشرقية العام)

توطئة

في ربيع سنة ١٩٢١م قدم سورية المسيو استاش دي لوري (E. de Lorey) الفرنسي من قبل المجمع العلمي ومتحف اللوفر في باريس للتنقيب عن الآثار الاسلامية في دمشق. وفي اوائل سنة ١٩٢٢م ابتاع «قصر اسعد باشا العظم» بمبلغ ستين الف ليرة سورية، واتخذه مقرًّا له وبدأ بترميمه وجمع بعض الآثار اليه وأعلن انه سيُنشئ فيه مدرسة لتعليم الصناعات الوطنية التي اشتهرت بها سورية عموماً ودمشق خصوصاً وعاد مسرورًا الى باريس. وفي حادثة دمشق الاخيرة منذ شهر احترق هذا القصر وزالت معالمه وتشتت آثاره، فكتبتُ فيه هذه المقالة التاريخية مزيّنة ببعض رسومه

آل العظم

اشتهرت هذه الاسرة في تضاعيف القرن الثامن عشر في سورية وقد كتب عنها كثير من المؤرخين مثل ثريا بك في «السجل العثماني» وجودت باشا في «تاريخه المطوّل» ونعيما في «تاريخه العثماني» وابن البرزنجي في كتابه «كشف الحجب والستور عمّا وقع لاهل المدينة مع امير مكة سرور» سنة ١١٩٤هـ (١٧٨٠م). والسويدي البغدادي في «حديقة الوزراء» والبديري الحلّاق الدمشقي في تاريخه «نخبة الفضلاء». وكوچك جلبي في «تاريخه العثماني». والشيخ عبد الرحمن الفاسي المغربي في «تاريخه المخطوط»

والمرادي في «سلك الدرر» وشمس الدين سامي في «قاموس الاعلام» العثماني، وقولني الفرنسي في «رحلته الى سورية» وغستاف لي بون في «حضارة العرب». وكنانيش ومجاميع واوراق كثيرة وقفتُ عليها في دمشق في المكاتب العامة وبعض الخاصة ولاسيا آل العظم. وكلها تذكر الأسرة وتترجم مشاهيرها الوزراء واعمالهم. وبعضهم يذكرها باسم «عزيم اوغلي» مما يدلّ على انهم كانوا من قبيلة بني عزيم في البلقاء التي اشتهر منها شيخها ابرهيم في زمن السلطان سليم العثماني فاتح سورية ومصر سنة ١٥١٧م (٩٢٣هـ) فاتخذهُ السلطان محافظاً لجول (برّيّة) سورية ولقّبه آغا. ثم اخذ معه اولاده السبعة الى الاناضول رهائن خشية ان يثور عليه من كان منهم وزراء مثل عبد الرحمن باشا وحسن باشا دفين النبك وفارس باشا ويوسف باشا وخليل باشا واسمعيل باشا والآخرون مات مجهولاً. وصرّح بعروبتهم الشيخ عبد الرحمن القاسي المغربي في تاريخه المخطوط في مصر بعد سنة ١١٠٠هـ فذكر وفاة احدهم وقال: «ان هذا اللقب من الدولة وانّما اصلهم عربان من بادية الشام». ومما يرجّح عروبتهم انهُ لا أثر لهم في قونية وبين عشائر الترك حتى انهم لا يعرفونهم(١). وقيل انهم اتراك من الاناضول والله اعلم

وقد نشأ منهم في قونية اخوان باسلان وهما قاسم بك العظم الملقّب بابي كتف الذي لم يعقب وشقيقه ابرهيم بك جدّ الاسرة العَظْمية الحاضرة في دمشق وحماة ومعرّة النعمان فتسلسل منهُ وزراء مهمون أربوا على بضعة عشر تولّوا شؤون سورية وضواحيها وبرّ الاناضول. ولكثير منهم أعمال خطيرة مثل بناء المدارس وتأسيس المكتبات وحفظ الاوقاف وتشييد الابنية وتقريب الشعراء والعلماء الذين مدحوهم والّفوا لهم بعض الكتب وكتبوا لهم. ومن مشاهيرهم اسعد باشا صاحب هذا القصر(٢). وفي كتابي «تاريخ الاسر الشرقيّة» تاريخهم وانتسابهم ومشاهيرهم

اسعد باشا العظم

هو الوزير اسعد باشا ابن اسماعيل باشا بن الامير ابرهيم بك الذي نشأ في قونية

---

١) اشرت الى هذا الرأي في مقالة لي سنة ١٩٢٢ في جريدة الف باء عن هذا القصر وآل العظم فقامت قيامة (سنقيد) وكتب في جريدة الاقبال بتاريخ ٢٥ شباط منها اعتراضاً جارحاً

٢) توجد أسرة اسلامية في دمشق باسم (العظمه) وأسر مسيحية في لبنان باسم عظم وعضيمي وعضامي ولا نسابة بينها وبين آل العظم هؤلاء

وكان جدّ هذه الاسرة المعروف . ولد اسعد باشا في دمشق سنة ١١١٣هـ (١٧٠١م) ودرس العلوم واللغات على عادة عصره فحذق التركية والفارسية والعربية وألمّ ببعض العلوم والآداب وولع بجياد الخيل والابنية فاكثر منها . وكانت اول ولاياته على حماة فنال رتبة ميرميران ثم نال رتبة الوزارة سنة ١١٥٦هـ (١٧٤٣م) ونُقل الى ولاية دمشق خلفاً لعمه سليمان باشا فادار شؤونها اربع عشر سنة . وكان امير الحج ايضاً وترك اعمالاً كبيرة وابنية شاهقة . وسنة ١١٦٩هـ (١٧٥٥م) تولّى شؤون سيواس وعُزل عنها بعد نحو عامين وأبعد الى روسجق لتغيُّر الدولة عليه بسبب نسبة فتنةٍ اليه قام بها العرب على ركْب الحجّ في عهد خلفه حسين باشا مكّي زاده الغزّي من مماليكه . وقتل في طريقه الى روسجق في الخامس من شهر شعبان ١١٧١هـ (١٧٥٧م) وذلك بمدينة انقرة داخل حمّام وأعقب ابنةً زوّجها ابن عمها محمود باشا . واثنى عليه المرادي وغيره من مترجميه . وقال جودت باشا في تاريخه ما تعريبه : «انهُ بعد نفي اسعد باشا (اي العظم) لا يجوز اعطاء الحكم لاحد منهم او أتباعهم خشية ان يتحزّبوا او يثوروا على الحكومة»

وكانت له اوقاف عظيمة وخيرات كثيرة فمن اوقافه «خان اسعد باشا» في دمشق وهو قرب داره في البزوريّة وبناء مقام السيدة زينب بظاهر دمشق وجسر الكسوة . ومن ابنيته الخان الشهير في معرّة النعمان لابناء السبيل . والخان والحمام والبركة العظيمة لابناء السبيل ايضاً في خان شيخون قرب المعرة . والخان لابناء السبيل ودار الحكومة في حماة وفيها قاعة فخمة حجمُها نحو ربع القاعة الكبرى في قصره بدمشق ولكنها اجمل نقشاً قد حُفظت بغاية النظافة والدقة حتى كأنها خارجة الآن من تحت ايدي الدهّانين والمزوّقين وفيها حوشة حماة في ذلك العهد . والبرك العظيمة والقلاع المتينة التي بناها في طريق الحج منها في المعظم والاخضر والقطرانة وقلعة المداين التي أرّخها شاعرهُ الشيخ سليمان بن احمد المحاسني الدمشقي (١ بقوله من ابيات سنة ١١٦٨هـ :

(١ وقفتُ على ديوان هذا الشاعر في خزانة المجمع العلمي بدمشق ووصفتُهُ بمجلته ورأيت فيه مدائح لآل العظم وتواريخ لابنيتهم ولاسيما اسعد باشا هذا فقد ارّخ صالح المدينة على يده سنة ١١٣٠هـ وقناة ماء بناها سنة ١١٦٢ وبناء داره هذه الموصوفة بهذه المقالة وهنّأه بقدومه من الحج وبواقعته مع العرب الخ

حادي البشارة قد اتانا منشداً في بيت تاريخ بضوع شذاءُ
حسن المدائن قد بناهُ اسعدٌ في أس محمودٍ أطيلَ بقاءُ

هذا ما اجرى من الخيرات والمبرات في مكة والمدينة وبقية المدن التي تولى شؤونها واهمّها دارهُ في دمشق وخانهُ قربها (١

وصف القصر العظمي العام وطريقة بنائه

اذا انحدرتَ في سوق البزوريّة الى آخرها تجد على يمينك زقاقاً مرصوفاً موصلاً الى الدار العظمية الفخمة وهي ذات باب كبير يرتاج الى الغرب ومنهُ يُدخَل الى تلك العجائب المدهشة في الزخارف والاتقان والهندام . وحول المدخل غرف ذات ثلاث طبقات كلّها مزخرفة السقوف والجدران مرصوفة بالفسيفساء ومزدانة بالنقوش البديعة . ثم تجد امامك الى الشرق فسحة مهمة والى يمينها لجهة الجنوب القاعة الكبرى التي هي اجمل تلك الدار هندسةً وروائع نقوش وبدائع اصباغ ومحاسن ترتيب وتعرف باصطلاحهم الفارسي (بالخركاه) اي المثلثة لتشكل هندستها المثلث . وقربها الحمّام وغرفه البديعة وفي الشرق غرف مرتّبة وكذلك في الشمال الى يسار الداخل حيث هناك غرف ووراءها المطبخ العظيم وهو اشبه بدار تحته قبو عظيم يقال انهُ كان سجناً

وفي تلك الغرف والفسحة رُتّبت آثار قديمة من تماثيل اسد ضخم وجد في الشيخ سعد وهو حثي مكسور وتماثيل اشخاص بعضها مشوّه وحيوانات اخرى من أُسد وعجول وابواب حجريّة للمقابر والبيوت على بعضها صور نافئة من الحجر الاسود (الحرّي) الحوراني ومذابح وتيجان اعمدة وقواعدها وكتابات . وفي الداخل آثار آنية زجاجيّة وخزفية ومعدنية على بعضها كتابات وبينها قطع مكسّرة مما وجده المسيو دي لوري في الباب الشرقي عندما حفر فيه وفي محلة حنانيا وهناك قطع من البسط والسجاد القديم والاقمشة الثمينة المطرّزة وقد فرش بعض الغرف فرشاً شرقياً وزيّنها ببعض الاسلحة والادوات . ووضع سجلاً للزائرين يدونون فيه اسماءهم وتُباع فيها رسوم دمشق والقصر

١) راجع وصف هذا الخان في (الروضة الغناء) للمرحوم نعمان قساطلي الدمشقي المطبوع (صفحة ١٠٠)

وقد حدثني بعض الشيوخ المعمرين الدمشقيين نقلاً عن اسلافهم اخباراً غريبة عن بناء هذه الدار وما جرى للبنائين الحلبيين الذين استُقدموا لمساعدة الدمشقيين في هندستها وتفوّق الدمشقيين عليهم بهندسة البناء وإحكامه . وكيف ان الاساس حُفر وسُدّ بالحجارة وتُرك سنة كاملة حتى استقرّ ورُصّت حجارته فاستؤنف البناء عليه . ومما روي لي ان اجرة البنّاء اليومية كانت نحو عشرة قروش واجرة الفاعل نحو ثلاثة قروش وبقي العمّال يشتغلون فيها احدى عشرة سنة . وقد أُهملت هذه الدار منذ نحو ثلاثين سنة ونُكِبَت وخرب حمّامها وقسم من ابنيتها العلوية ودرست بعض محاسنها وكان فيها ثلاثمائة وستون غرفة سُفلية وعُلوية

وقال الشيخ احمد البديري الحلّاق في تاريخه المخطوط بخزانتي في سنة ١١٦٣ ﻫ ما نصّهُ ببعض الفاظه العامية :

«وفي تلك الايام اخذ الوزير اسعد باشا دار معاوية رحمهُ الله واخذ ما حولها من الخانات والدور والدكاكين وهدمهم وشرع في عمارة داره السرايا المشهورة التي هي قبلي جامع الاموي . وجدّ واجتهد في عمارتها ليلاً ونهاراً وقطع لها من جملة الخشب اثني عشر الف خشبة وذلك ما عدا الذي ارسلوهُ له اكابر البلد والاعيان من الاخشاب وغيرها . ورسم على حمّامات البلد أن لا يُباع القصرمل[1] لاحد بل يرسل لعمارة السرايا واشتغلت بها غالب معلمي البلاد ونجاريها وكذلك الدهّانين بل قلّ ان يوجد معلم متقن او نجّار او دهّان كذلك الّا والجميع مشتغلون بها . وجلب لها البلاط من غالب بيوت المدينة اينما وجدوا بلاطاً او رخاماً او غير ذلك مثل عواميد وقساطل[2] يرسل فيقلعهم ويرسل القليل من ثمنه . وكان في قريب بركة البرامكة قصر يقال له الزهرانية قيل هو من عمارة الملك الظاهر وهو على ظهر بانياس مطلٌّ على المرجة وكان منتزهاً عظيماً تهدّم غالبه . وفي قربه مدفن وعليه قبّة من حجر ورأس القبة مقلوع وفيه وهدة . . . اخبروا حضرة الوزير اسعد باشا العظم صاحب العمارة عن هذه القبة وعن المدفن الذي بجنبها وان الاراذل الاشقياء يجتمعون عندها هناك ليلاً ونهاراً على فسق وفساد وغير ذلك فامر بهدمها حالاً ونقل حجارتها الى داره

١) ما يستخرج من مواقد الافران ايقادها

٢) القساطل جمع قسطل بمعنى الاحواض

«وفي تلك الايام بلغ الوزير اسعد باشا: ان في وادي كيوان طاحونة قديمة يُقال لها طاحون الرهبان قد تهدّمت ولم يبقَ منها سوى رسوم اسفلها وانها مركبة على بانياس فحالاً امر حضرة الباشا بقطع نهر بانياس وان يخرجوا جميع ما فيها من اعمدة واحجار وينقلوهم الى الدار فاشتغلت الفعلة والحجّارة والباشاتية واستقاموا يقلعون الاحجار وينقلونها الى دار الباشا اثني عشر يوماً والنهر مقطوع عن اصحابه

«وفي يوم الخميس سادس وعشرين ربيع الثاني من هذه السنة عمل حسن افندي السفرجلاني وليمة لحضرة اسعد باشا بالصالحية في قاعة ابن قرنق وكانت ضيافة عظيمة قيل تكلّف عليها نحو احدى عشرة مائة قرش. فنظر حضرة الباشا الى سروات شاهقات في داره فطلب من صاحبهم علي آغا ابن قرنق قطعهم لاجل عمارة داره وعرض الباشا عليه شيئاً من المال فأبى ان يأخذ شيئاً وقطع له ثلاث سروات ليس لهم نظير في الشام ولا في غيرها. ونقل من قرية بصرى احجاراً واعمدة من الرخام شيئاً كثيراً. واخذ من مدرسة الملك الناصر التي في الصالحية اعمدة غلاظاً جيء بهم محمّلين على عربات تُجرّ بالبقر وهدم سوق الزنوطيّة التي فوق حارة العمارة وكان كلّه اقبية معقودة فأمر بفكّه ونقلهِ الى داره المشار اليها ونقل اليها ايضاً اعمدة من جامع يلبغا. وانه مهما سمع ببلاط بديع او اعمدة او احجار من اي محل كان يأتي بها شراء وغير شراء»

(قال المؤرخ): «وفي تلك الايام قُتل ابن خطّاب الآلاتي في سوق الزورية وقت اذان العشاء، جاءهُ ضرب سلاح على رأسه فوقع قتيلاً كأنه ما كان. هذا ووزير الشام مشغول في عمارة داره ولم يلتفت الى رعاياهُ والنصارى. ويقول: ائتوني بحجارة المرمر والرخام والسرو وتفنّنوا بالبناء والنقوش والتحلية بالذهب والفضة وجلب عواميد الرخام على العجلات والبقر من بصرى. وخرّب سوق مسجد القصب واستجلب جميع ما فيه من احجار واخشاب وكل ما سمع بقطعة او تحفة من رخام او قيشاني او غيرها يرسل فيأتي بها ان رضي صاحبها او أبى. واذا اراد الفقير ان يعمّر ويرمّم لم يجد معماريّاً ولا نجاراً ولا خشباً ولا مسماراً ولا تراباً ولا قصرملاً ولا احجاراً وهذا مع غلاء الاسعار وحلول الاكدار. وقد اخذ حضرة الباشا قدراً وافياً من ماء القنوات فما وصل الى السرايا حتى تقطعت السبل ومياه غالب الجوامع والحامات وبقي مدة مقطوعاً حتى عن غالب البيوت»

ومما ذكرهُ البديري في حوادث سنة ١١٧١هـ ما نصُّهُ :

« وفي تلك الايام جاء الخبر بقتل اسعد باشا ابن العظم والي الشام سابقاً . وبعد ايام جاء قبجي من جهة الدولة بختم سرايته وضبط ماله وختم بيوت جميع اتباعه واعوانه وضبط مالهم ورفعهم الى القلعة . وازدادت الشدّة وصارت امور واهوال في دمشق الشام ما وقعت في سالف الازمان . ثم جاءت اتباع ابن العظم اسعد باشا . ودخل القبجي الى السرايا فاخرج الدفائن العظيمة من سرايته فاذا هي كالكنوز المودوعة فيها فاخرجوا من الارض ومن الحيطان والسقوف والاحواض حتى من الادبتات(١) دراهم ودنانير وامتعة نفيسة لا تقام بقيمة . ومجوهرات مما لا يعلمه الّا الله تعالى والحكم لله العلي الكبير »

وذكر في محل آخر : « وجاء سلحدار من قبل السلطان لتحصيل المال من سليمان باشا العظم فارسل خلف المعارية(٢) الذين عمّروا السرايا وكانوا نصارى وكان معلم نصراني يقال له ابن سياج فأمر القبجي بتعذيبهم »

وذكر في تاريخ سنة ١١٦٦هـ : « وفي تلك الايام من هذه السنة شرع حضرة اسعد باشا في عمارة القيسارية التي في البزوريّة التي عز نظيرها في الدنيا وذلك بعد ما هدم قيساريّتين ودور ودكاكين وجعلها قيسارية واحدة بهذه الصفة التي لا نظير لها »

وجاء في ذيل القرماني المخطوط عن نسخة نُقلت من الخزانة السلطانيّة في القاهرة ما نصُّهُ :

« وفي سنة ١١٦٣ بنى الوزير المرحوم ابي اسعد باشا ابن اسمعيل باشا داراً عظيمة في قرب جامع بني اميّة لصيق محلة الدهيناتية في سوق العطارين البزوريّة وأنفق عليها جملة اموال عظيمة حتى قيل جملة ما انفق اربعمائة كيس داخل كل كيس خمسمائة قرش وهذه كرى العمال . واما الخشب والبلاط والتراب وغيره فكله من رزقه ومن بساتينه

« وقيل ان داخل الدار اماكن عديدة كل واحدة لا كيه الاخرى وجميعها بماء الفضة والذهب واللازورد والبلاط الرخام العظيم . وحاصل الامر نقلوا عن من رأى

---

(١) يريد المراحيض وبيوت الخلاء

(٢) تقول العامة المعاريه والمعارية اي البنّائين

وساح في البلاد ان ليس مثلها في مالك بني عثمان حتى ولا سراية الملك المعظم . وتمّ العمّال[١] يشتغلوا في دار الحريم سنتين وما تمّ وعدد العمّال من غير ضبط فوق الثلاثمائة والله اعلم»

وقال في محلّ آخر من هذا الذيل: «ومن جملة ما عمّر (اسعد باشا) جسر الكسوة من الرأس الى الرأس وعرّضهُ سنة ١١٦٥ وارسل الى الدولة رفع الذخيرة الصغيرة عن البلاد وهذه تبلغ مقدار خمسة عشر كيس ثم تولى بعده محمد باشا الراغب» (اه)

يقول كاتب هذه المقالة : وعلى الجملة فان القصر العظمي بديع الهندسة جميل الغرف رفيع البنيان طبقات ترى النقوش في جدرانها الخارجية والداخلية وفيها الحمامات والحدائق والحياض والبخيريات (المداخن) وانابيب المياه موزعة بطرق فنية . وفيها الفوارات والشلالات في داخل الغرف بهندام يأخذ بمجامع الابصار . وهناك انواع الفسيفساء والنقوش والتخريم كلها تمثل اشكالاً هندسية ونقوشاً عربية واشجاراً وحيوانات حتى لا تكاد تجد غرفة تشبه الاخرى بشيء من نقوشها او هندستها او اصباغها . وقد بُذلت العناية بالتذهيب حتى حُفظت الوانه مشرقة وكذلك الرصف بالبلاط والقيشاني وفصوص الحجارة الملونة والاعمدة اللطيفة ذات الالوان المختلفة . وعلى الجملة فهذا القصر هو آية البناء الشرقي ومنتهى ما وصل اليه تفنن الدمشقيين في ذلك القرن بصناعتهم البنائية والنقشية وما يتعلق بها . واذا جُمع ما كُتب بالذهب على جدرانه وسقوفه من الآيات والحكم والاشعار ملأ كتاباً فهو اشبه بتحفة صناعية منه بقصر . ولقد وصفهُ كثير من الشعراء ومعظم اقوالهم نُقش بخط جميل على القاعات جدراناً وسقوفاً . ومما وقفتُ عليه من ذلك اخيراً قول السيد احمد البربير (الذي جمعتُ ديوانهُ المخطوط النفيس) يمدح محمد بك بن علي بك بن محمد باشا العظم في داره بدمشق من قصيدة :

يا دارَ اسعدَ باشا اسلمي النعيمُ المختلدْ

بطالعة ابن عليٍّ ابي السعود محمدْ

يا سيدي عِشْ سعيداً فان جدك اسعدْ

وهذا القصر الفخم هو من دور معاوية الاموي ويرجَّح انه من اصل قصر

---

١) تمّ بمعنى لا تبقى» بلغة العامة

الحضراء الذي كان دار الخلفاء الامويين. ولا بقية الآن ترب القصر العظمي تسمى «مصبغة الخضراء» الى جنوبي الجامع الاموي

وصف هذا القصر لشاهد عيان

وقفتُ منذ ثلاث سنوات عند صديقي الوجيه محمد خليل بك العظم في دمشق على رسالة وضعها في وصف القصر العظمي قبل خرابه واهماله منذ ستين واسمها «الدرر البهية بوصف السراية الاسعدية» فنقلتها وهذه هي بنصها مع بعض حواش واستدراكات علّقتُها عليها تتمة للفائدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي علّم الانسان ما لم يَعلم، وفضّله على سائر المخلوقات بما عليه انعم، ومن تممه ذلك العقل اللطيف العزيز، الذي هو افضل وابهى من الذهب الابريز، فاتقن به كل فنّ عجيب جميل، وذلك من مواهب الملك الجليل، يرزقه لمن يشاء وهو ذو الفضل العظيم

«وأُصلّي وأُسلّم على صاحب الشرف والوسيلة، سيدنا محمد المتخلق باحسن الاخلاق الجميلة، صلّى الله عليه وسلّم، وزاده فضلاً وكرّم، وعلى آله، وكل ناسج على منواله،

«وبعدُ فقد طلب مني بعض الاخوان وهو من اجلّ الاحباب الكرام، أن اصف له هيئة دارنا التي في الشام، وما بها من لطائف المصنوع، وغرائب ما بها من الدقة موضوع، وهي موقعها قبلي جامع بني امية الشهير، وتنتسب لشيدها الشهير بابن العظم اسعد باشا الوزير، في محلة البزورية، فشرعت بجميع وصف تلك الدار السنية، وسميته «الدُرَر البهية بوصف السراية الاسعدية» فاقول:

«ابتدأ أسعد باشا بعمارة داره في سنة ١١٦٠ فاتمّها في سنة ١١٦٣ حكم تواريخها

حين انشائها . فابتدأ بحفر اساسها فحفر الاساس وبناها بالحجر الغشيم (١ والكذان (٢ قيمة اربعين ذراعاً ارتفاعاً وعرضاً ذراعين ونصف اوسط البناء حجر غشيم وظاهره . واما باطنه لوجه الدار حجر نظيف مزي (٣ ابيض واحمر واسود فبنى جميع جدارها كما وصفنا وبنى جداراً آخر متصلاً بجدار الباب حاجزاً بين الدخول من الباب وهو دهليز (٤ من ارض الدار وطو ارتفاعه كالجدران الاولى . وبنى فوقهما قصوراً على باب الدار يأتي وصفهم . فيدخل من باب الدار الى دهليز مستطيل شرقي طوله خمسة وعشرون ذراعاً وعرضه سبعة اذرع . ثم ينعطف (٥ لدهليز آخر قبلي بقدر الاول طوله وعرضه . ينتهي الى فسحة تجاه الدار فيدخل الى الدار من تلك الفسحة لباب دهليز شمالي صغير طوله ثلاثة اذرع وعرضه كذا الباب ايضاً . وطول دهليزه وعرضه كالاول لباب كذا يدخل منه لدهليز مستطيل ثم لارض الدار

• ثم اتخذ من اصل الدار ما يتوف على مساحة مائة وثلاثين ذراعاً طولاً وعرضاً مائة ذراع فسحة للدار . وبنى بها من القاعات ثلاثة : احداها قبلية وهي ﴿ القاعة الاولى ﴾ (٦ اعظم بناء في الدار والطف وآفخر فاتخذ مساحتها طولاً وعرضاً ستة ذراع وبنى اساسها كاساس الدار وارتفاعه وعرضاً قيمة ذراعين ومن اعلى الارض ارتفاعها قيمة خمسة وثلاثين ذراعاً وبنى ظاهرها بالحجر المزي والابيض والاسود وواجهة الدار اكثره من الحجر النافر (٧ متقن الصناعة . وبالداخل حجر مرمر ورخام . وجعل لها ثلاثة اواوين واحد صدرالي (٨ واثنان متقابلان . وكل ايوان جعل فيه تسعة شبابيك . فالايوانان المتقابلان لبعضها نقشهما سواء وسائر احجارهما منقوش مكلل به ذهب . وبه ايضاً من الذهب النافر والعروق والمشجرات من الاحجار المحفورة بحائطهما المنزلة بالذهب (٩ اتقن صناعته . وجعل فوق كل شباك قمرية (١ من ابدع

---

١) هو غير النحيت
٢) نوع من التراب الابيض كالحجر الجابي او الحجر الرخو
٣) من المزة بلدة بظاهر دمشق ربما كان اسمها يونانياً يعني (اللذة) ومعناها قرية (ماءاً) فوق رواق
٤) لعلها دهليزاً اي ترك . والدهليز النفق والسرداب تحت الارض فارسي
٥) ينعطف ٦) هذه هي القاعة الكبرى المتقنة
٧) النافر ٨) نسبة شاذة الى الصدر
٩) يعني النافلة او النائلة لعلها مضروبة الى القسر الدخول ضربة منها او لاستدارتها

ما يكون ببلور ومنقوشة بماء الذهب والدهان والكتابة الجميلة . وكل من القماري الذي فوق الشبابيك الصدارة (١) من الايوانين مكتوب به في الوسط « هو الخلاق الباقي » في ماء الذهب وهي مستديرة كالدائرة والذي بجوانبها مستطيلين مكتوب على كل منهما « محمد رسول الله » في ماء الذهب كل من الايوانين المتقابلين . وعلى دائرهما فوق الحجر المنقوش حلقة من الخشب المتقن الصناعة والدهان ومكتوب بها في ماء الذهب « احاديث رسول الله » (ص)

« واما الايوان الصدراني فجعله متاهم في العمارة بل زاد به في صدره سلسبيل ماء ينزل منه الماء وجعل ذلك السلسبيل من الاحجار القيشاني على عمودي مرمر . وابدع في نقش احجاره من الذهب الناقر المنزل (٢) . وجعل به ايضاً تسعة شبابيك على كل شباك قمرية ايضاً ببلور منقوشة في ماء الذهب . القمرية الصدرانية من الايوان مستديرة مكتوب بها « كلما دخل عليها زكريا المحراب » (٣) . وبجانبها الايمن والايسر قمريتان مستطيلتان . فباليمنى « يا حافظ يا معين » وبجانبها الايسر « يا حنان يا منان » وبالجنب الغربي من الايوان المذكور بالقمرية الوسطى « لا اله الا الله نصرٌ من الله وفتح قريب » وبجوانبها « يا حي يا قيوم » « يا مجيب الدعوات » وبالجنب الشرقي « يا قاضي الحاجات . لا اله الا الله في كل وقت وحين . لا اله الا الله حتى ترث الارض ومن عليها وانت خير الوارثين » . وكل تلك الكتابة على هاتيك القماري بماء الذهب مع النقش من العروق والشجرات من جميع الادهان العجيبة . ومنقوش على طقة ذلك الايوان الخشب (٤) تربيع النساء . عملوها بابيات في مدح صاحب الدار وهي بماء الذهب والتقان صنعة الخط الجميل :

قاعة اشرقت بشمس الصدارة	وبها السعد سارٌ بالبشارة
وبالسان دوحها كلَّ وقت	ينطق الطيرُ بالسرور جهارة
وبأبراجها طالعُ سعدٍ	تقتفيها الكواكب السيارة
قد بناها الوزير (اسعد) من قد	أطَّد (٥) الله في المعالي فخاره

(١) يريد التي في صدر الايوانين
(٢) يعني المرصع
(٣) اي على مريم . وورد هذا في سورة آل عمران
(٤) يريد المشمس
(٥) يعني وطد وثبت

الهمام الشهم المفيد المفدّى — من غدا الحمدُ والثناءُ شعارَه
آصفُ الوقت من حوى حسن رأيٍ — لم تكن تلحق العقولُ غبارَه
من خفوق الرياح فاح ثناهُ — والعطايا من جوده مستعارَه
جاء تاريخها ببيتٍ فريدٍ — هو كالدرّ أبرزتهُ بحارَه
يا لها قاعدة يلوح سناها — كلَّ يوم بجاه عزّ الوزاره (١١٦٣)

وجعل داخلها خزنة (١ متسعة وجعل بابها من احد الشبابيك التسعة الموجودة في ذلك الايوان. وجعل بها عتبة لا تكاد توصف بما فيها من الصناعة المتخرة الجميلة. وهي قد جعل كل شميرة (٢ ايوان اي من طرف نزول الايوان الى القبة باحجاره المرمر والمزّي والرخام والاحجار المشكلة الصغيرة القدر. ووضع بارض القبة اربعة احجار مقابل بعضها بعضاً لا يكاد يوصف حسنها وليس لها مثال في شامنا سوى اربعة احجار صغار في الجامع الاموي. وما بين تلك الحجارة الاربعة حجارة ملوّنة مقطّعة صغار وكبار. الصغيرة منها لا تبلغ الارزّ محكمة الصناعة والاتقان. وبين تلك الحجارة الاربعة التي مساحة كل منها طولاً ذراعين ونصف وعرضاً ذراع ونصف بحرةٌ (٣ صغيرة مستديرة عبارة عن ثمانية اذرع استدارتها مركبة على اربعة وعشرين حجراً منحوتة مركبة ملتصق بعضها ببعض لا يدخل بينها مشكّ (٤ ابرة كانها حجر واحد وكل حجرين منها متشابهان متقابلان والاربعة وعشرون حجراً مثقوبة يخرج منها الماء بشدة وكل ثقب يخرج منه الماء بسبع من النحاس المطلي بالفضة والذهب. وكل من جميع الاحجار كل شكل يلائم شكله. ثم اوسط البحرة كاس من الرخام الابيض مخرّم تخاريم لطيفة ومنقوش نقشاً جميلاً يخرج ايضاً منه الماء من مواضع متعددة ما ينوف على خمسين محلاً بشدة يخرج الماء ويعلو قيمة ذراعين. وابواب الشبابيك التي في القبة بجوانب باب القاعة والباب ايضاً مرصعة بفصوص الصدف. ومقابل الشبابيك ايضاً شبابيك الايوان الصدراني. الصدارة ابوابها ايضاً مرصّعة بفصوص الصدف. وعلى الباب من الداخل احجار مقطعة صغيرة منقوشة لا تكاد توصف منزّلة بماء الذهب. وعلى الباب قريتان ملتصقتان بأورهما منقوش بماء الذهب وبها مشجرات وما

١) الخزنة والخزانة مخدع داخلي
٢) الشميرة اشبه بعقد من الحجارة ٣) الحوض والبركة
٤) اي محلّ شكّة ابرة

اشبه ذلك من السرو والنخل بماء الذهب . وتلك القمريتان بينهما عمودان من رخام ملتفان بعضهما على بعض وبينهما تنزل بصورة حية ايضاً من الرخام النافر

وكل من الاواوين والقبة يسقف له طوان (١ من الخشب المتقن الصناعة الذي في زماننا الحاضر لا يمكن عمل مثله . اكبر قطعة من الطوان من الخشب لا تبلغ نصف ذراع طولاً وربع عرضاً منزّل في بعضه مدهن بالدهانات اللطيفة ومنقوش بماء الذهب . وخارج الباب على قدر الباب برواز (٢ من الحجر المزّي والمرمر المنزل بماء الذهب المرصع بفصوص الصدف وعلى باب القاعة من الخارج مكتوب ايضاً تاريخ على الحجر النافر بماء الذهب وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين

بيام (٣ الله حلّ بها التهاني ... وحمد الله من حسن البضاعةْ

وبالتوفيق والاتقان شيدت ... كدور نيّر ابدا (٤ شعاعهْ

لها الاقدار قامت في علاها ... بتاريخ أتى فرد الصناعهْ

امير الحاج أسعد في كمالٍ ... حباهُ الله بالاكرام قاعهْ (١١٦٣)

ولها فسحة تجاه الباب بمقدار خمس اذرع طول وذراعين ونصف عرض . ومن كل ناحية من تلك الفسحة درج الى ارض الدار مقدار سبعة درجات بالحجر الاسود النظيف . وعلى طرف الدرجين الى الدار والفسحة درابزين حديد الى اسفل الدرج وبقدر الدرجين والفسحة التي تجاه القاعة دكّة مرتفعة عن ارض الدار قيسة ذراع مربع والدرابزين الحديد محاط بها وهي جميعها مرخّمة (٥ بانواع الحجارة الجميلة . وبصدر تلك الدكّة باسفل الفسحة التي تجاه القاعة مناصفَ الدكة (٦ سلسبيل ينزل منه الماء من ماء البحرة التي بالقاعة فينزل الماء من السلسبيل بساقية بنصف الدكة . وتلك الساقية مقدار

١) الطوان هو السَّمك اي السقف الداخلي

٢) دائرة وإطار فارسية .

٣) وفي التاريخ المنقوش على صدر القاعة الآن «بيمن»

٤) الاصح ان تكتب «أبدى» بمعنى اظهر بالالف المقصورة

٥) اي مبلطة ومرصّعة ٦) اي مقابل نصف الدكة

قيراطين عمقها وعرضها ثلث الذراع. مفروشة بانواع الرخام الصغير القدر فينزل الماء لراس الدكة بتلك الساقية. وبرأس الدكة الى جانب ارض الدار بوسط الدكة المذكورة قسقية (١ جبلة المنظر حجرًا واحدًا يخرج منها الماء ويدور بتلك القسقية دورات ليصل لخارج القسقية فيجتمع ماء القسقية وماء السلسبيل فيصبان في سلسبيل ثانٍ لساحة ارض الدار لتصريف الماء. وتلك القاعة جعل تحتها قاضي (٢ قبو على قدر جميعها

﴿والقاعة الثانية﴾ جعلها شمالية فاخذ مساحتها قيمة مائة وستين ذراعًا فأسسها كالاولى وطلع في ارتفاعها عن الارض قيمة عشرين ذراعًا. وجعل بها ايوان واحد وتسعة شبابيك فأبدع صنعة ذلك الايوان جعل دائرهُ حلقة من الخشب ودهن ذلك الخشب بالدهان العجيب والنقش بماء الذهب وجعل لسقفه طوان من ابدع ما يكون من الصناعة المتقدم شرحها في طوانات (القاعة الاولى) وكله مموّل بماء الذهب. وعلى دائر الطوان مكتوب بماء الذهب مدح بحق رسول الله (ص) وبعض من البُرْدة (٣ والهمزيّة (٤ وباعلى الحلقة ابيات هي:

حمدًا لمن منح الاحسان والجودا ... وخلّدت شكرهُ النعماء تخليدا
واوسع الخلق افضالًا وكان به ... مستوجبًا منهم شكرًا وتحميدا
ووفّق البطل الكرّار اسعد من ... اولاه مولى الورى مجدًا وتأييدا
امير حجاج بيت الله من فتحت ... راياته لهمُ ما كان مسدودا
صدرُ الصدور الذي دان الزمان له ... وبذّ البيَّ والمدوان تبديدا
عمدُ الوزارة لم يتجنب باكرمٍ من ... ذا الصدر اذ كان بالاسعاد موعودا
كم فرّقت مكرمات منهُ ماشية ... كتائبًا وجيوشًا تلأ البيدا
لقد أجدّ بناء المكرمات بما ... يفيد ذكرًا مدى الايام محمودا
وشاد بالُيمْن اسنى قاعة شرفت ... حتى غدت منهلًا للجود مورودا
بلابل السعد في اغصان دوحتها ... تقري المسامع بالافراح تغريدا
فما المورّق في إبداع صنعته ... يحكي لنا روضها حسنًا وتشييدا

---

١) القسقية الحوض لانبثبة ٢) القاضي الفارغ
٣) التي مطلعها: أمن تذكر جيرانٍ بذي سلمِ ... مزجت دمعًا جرى من مقلة بدمِ
٤) التي مطلعها: كيف ترقى رقيّك الانبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء

كأنما النقش يبدو في جوانبها كواكبٌ نُضِّدت في الافق تنضيدا
قد حسَّنتها المثاني والكتاب فان طَرْفُ الحسود رآها عاد مردودا
يمدُّها النبت والازهار باسمة فيشهد الطرف للسرّاء تجديدا
وقد بأكملها من الالاء أتى يتت بتاريخه كالدرّ منضودا
لا قاعة بجنب لم يزل ابدًا بزهو عليها لواء المجد ممدودا (١

«وجعل ايضاً بها عتبة واسعة بمقدار ثمانين ذراعاً وجعل للايوان شميدة كشماتر القاعة الاولى مغرّلة جميعها بفصوص الحجارة الصغيرة المرمر والمزّي والصدف وارضها كذلك. وعلى دائرها للجهة القبلية الباب وشباكان وللجهتين الشرقية والشمالية مشية مصبات منقوشة بتلك الاحجار الجميلة وبالارتفاع الطوان منقوش نقش بماء الذهب يحتار به العقل وباوسط تلك العتبة بحرة ماء باربعة اثقاب يخرج منها الماء بسباع من النحاس المطلية بشدة. واحجارها جميعها من القطع الصغيرة الملونة المركبة المحكمة الصناعة والاتقان وبابها بمصراعين من الخشب المشجر المزّل بفصوص الصدف

«والقاعة الثالثة» جعلها شرقية فاخذ مساحتها ثلاثمائة ذراع ولسها كالاولى وطلع في ارتفاعها عن الارض قيمة عشرين ذراعاً وجعل بها ثلاثة اواوين على دوائرها شبابيك ودواليب. وجعل لأسقفها(٢ طولانات من الخام الملبّس بالجبصين والمنقوش بماء الذهب النقش الجميل. ولها عتبة جميلة باحجار مرخمة. وفي اوسط القبة بحرة ايضاً باربعة اثقاب يخرج منها الماء كالقاعة الثانية واحجارها بالرخام المحكمة الصنعة. وفي احد الاواوين باب يُدخَل به الى خزانة متسعة وفي تلك الخزانة درج من الخشب يطلع منه الى ثلاث فرنكات (٣ صغار لاجل الشتاء فيها مركبات بظهر تلك الخزانة

«وجعل في قسمة الدار جنينتين» «احداهما» بنصف الدار اخذ مساحتها من اصل مساحة الدار قيمة ثلاثين ذراعاً طولاً وعرضاً عشرون وجعل في اوسطها ثلاث مساطب كبار مساحة كل واحدة ثلاثون ذراعاً طولاً وعرضاً ملتصقتان بعضها ببعض.

---

١) بمجموع جُمل هذا البيت = ١٠٦٢ فتُكمَّل حسب الف (ف) لتكون السنة (١٠٦٣)
٢) يريد السقوف جمع السقف
٣) الفرنكة في عرف الدمشقيين الغرفة العلوية للشتاء. جمعها فرنكات

شرقية ـ وشمالية ـ وغربية ، ولجهة القبلة اثنتين صغار مساحة كل واحدة ستة اذرع طولًا وعرض واحدة ملتصقة بالشرقية ـ والاخرى بالغربية وبينها استطراق الى خارج الجنينة ـ وتلك المساطب جميعها من الحجر المزّي الابيض والاحمر والاسود والرخام الملون وبداثرها درابزين (١ صغار من الخشب المدهون ، ولها عتبة باسفلها مخاطين بها ـ وهي من الحجر المزي الابيض والاسود والاحمر والرخام الملون وفي وسط تلك العتبة فسقية ماء من الرخام الناقر المخرّم وتماثلها كالقبة مرتفعة قيمة ثلاثة اذرع ـ ويخرج الماء من جوانبها كلها ما ينيف عن ثلاثائة ثقب يخرج منها الماء ـ والاستطراق لخارج الجنينة ايضاً من الحجر المزي ، ودائر تلك المساطب تلك الجنينة بالزرايع (٢ المتخوة والمشجرات والورود والزهور ـ وعلى دائر الجنينة درابزين خشب مدهنة ، ومركب على تلك القبة صقالة (٣ على ستة عواميد من الخشب على المساطب مرتفعة ، وفي وسط تلك الصقالة قبة من الخشب المتقن الصناعة مرتفعة فوق القبة الى الفسقية فيخرج الماء من ثقب في وسط تلك الفسقية بشدة ليصل الى قبة الصقالة وبينها قيمة ستة اذرع ، وفوق تلك الصقالة مغرس من اصناف الزرايع من ياسمين بلدي وعراتيلي (٤ وغير وفلّ ومن الزرايع النعشة الرائحة الجميلة المنظر

﴿والجنينة الثانية﴾ اخذ مساحتها قيمة مائتي ذراع من فسحة الدار المذكورة وجعل فيها من الزرايع المعتبرة ايضاً والمشجرات المتخوة كالاولى وبدوايرها الدرابزين المدهون ـ وتلك الجنيتان جعلهما في ارضْ الدار عدا خمسة عشر موضعاً فيها الزرايع والاشجار وقيمة مساحتها من اصل ارض الدار ـ (فالجنينة الاولى) وهي الكبيرة في نصف الدار ـ و(الثانية) في الجهة الغربية من الدار بجانب الباب الذي يُدخل به من باب الدار

*وجعل في ارض الدار ايضاً بحرتين : احداهما شرقية والثانية غربية ـ (فالشرقية) شرقي الجنينة الاولى ومساحتها من اصل مساحة ارض الدار وقدرها طولًا عشرون

---

١) كلمة فارسية ويقال الدرابزون ايضاً وهي اطار خشبي او حديدي على السلالم ونحوها
٢) يريد المزروعات كأنها جمع زريعة
٣) الصقالة إيطالية بمعنى درج ومرتفع على اعمدة
٤) لا نعلم معناها ولعلّها (عربيلي) نسبة الى بلدة عربيل قرب دمشق

ذراعاً وعرضاً عشرة اذرع. وارتفاعاً من ارض البحرة الى اعلى الكتف ذراعين ونصف ومن جهة الدار للكتف ذراع وربع. وجعل لها سبعين (١ كبعين يخرج منها الماء بشدة وفي وسطها كاس كبير يخرج ايضاً منه الماء. و(البحرة الثانية) غربي تلك الجنينة الاولى وشرقي الثانية متوسطتان بين الجنينتين وهي مستديرة كالدائرة ومساحتها قية خمسة وثلاثين ذراعاً تجاه القاعة الكبرى. وجعل القاعة المذكورة كما ذكرنا قبلية غرب الدار. وجعل تطيع بنائها الى الشرق للقبلة ايواناً وذلك الايوان متقن الصناعة مساحته قية مائة وعشرون ذراعاً عرضاً وطولاً وارتفاعاً خمسة وعشرون ذراعاً. وجعل طوانة من الخشب الآن ذكره وقوسه بديع الصناعة باتساعه ونقشه بماء الذهب والدهان العجيب. وللايوان شعرة مفتخرة بالاحجار المرخمة وباسفله عتبة داخلة القوس طولها ذراعان وعرضها عرض الايوان اثنتا عشر ذراع مرخمة بالرخام الجميل. وبمؤخر القبة لكل من الجهة الشرقية والغربية أوض (٢ على كتف ذلك الايوان والاوض ايضاً داخلين القوس المذكور وتلك الاوض متقنة الصناعة ولها شبابيك على الايوان المذكور والبعض على ارض الدار وبظهرها مركب قصران عجيبان. واسقف تلك القصور عمدة بسقف ذلك الايوان. وكل من القصور متقن الصناعة بل انما القصر الغربي انما هو اتقن صناعة واجمل بنياناً اتساعه مائة ذراع مساحة جعل دائره حلقة من الخشب المدهن الدهان الجميل المنقوشة بماء الذهب. وشبابيكه مطلة على ارض الدار. وطوانة من اجمل الصناعات الآن ذكرها. وللحائط الغربي كشبه الدخنة وصنعتها تبهر العقل لعظم ما فيها من اللطافة وحسن الصنعة. وهي جميعها من الاحجار الصنبرة المرمرية والرخام الابيض والاسود والاحمر ومنزل بفصوص الصدف الثائر المنزل بماء الذهب. ومن دائرة القصر مكتوب بماء الذهب هذه الابيات :

يا منزل البشرى ومغنى التهاني ما والك(٣ طرف البشر طاق الثاني
يا معقلاً طال سديراً علا وما بني بنيك (٤ انو شروان

---

١) اي اسدّين
٢) بمعنى غرف
٣) كذا في الاصل ولعلها «جارالك» ونحوها
٤) كذا في الاصل ولعل الصواب « وما بنت يُمنى انوشروانِ»

قصرٌ غدا يقصر عن وصفهِ ... كلُّ فصيح القول طلق اللسانِ
نادٍ رحيبٌ شيد بنيانهُ ... بزخرفٍ من عبقريّ الجنانِ
جهاته الستة طول المدى ... مكلوءة بالسبع سبع المثاني
عبّر يجلو لأبصارنا ... من كل ضدّ ورد دهان (١
قد زيد بالوشي زادها سكها ... قد زيد بالوشم زادها الحسان (٢
لا حكى روضَ المنى وشيُهُ ... غدت قطوف الانس فيهِ دواني
لله يصلح ان يغتدوا ... خناصر الإعجاب طول الزمانِ
الي وبانيهِ الذي قد حوى ... مكارماً اعرب عنها اللسان (٣
اسعدُ الزاكي السجايا ومن ... اصبح والمجد عقيد (٤ رهانِ
وزيرٌ (٥رحيب الصدر ذو همة ... سست بهِ من كل قاصٍ ودانِ

«وفيه عتبة جميلة المنظر وهي جميعها من الحجر القيشاني المتبر وخزانة داخلية متسعة وبين بناء ذلك الايوان وارض القصورة (٦ وبين القاعة الكبيرة فسحة متسعة طولًا وعرضاً مائة وعشرون ذراعاً من اصل مساحة ارض الدار وهي دكة عالية عن ارض الدار بذراع ومحلها مزروعات واشجار. وغربي تلك الدكة لجانب القاعة استطراق بعرض ذراعين ذراعين وربع. وشرقي تلك الدكة للايوان ايضاً استطراق ذراعين وربع. وتلك الدكة متوسطة ما بين القاعة والايوان والحاجز بينهما الاستطراقات المذكورة. فالاستطراق الغربي الذي بجانب القاعة على طول تلك الدكة بمقدار عشرة اذرع يُدخل منهُ الى باب من الحديد الى بستان متسع قيمة مساحتهِ الف وخمسمائة ذراع فيه من الفواكه اليانعة ومن الازهار والاشجار ودوالي العنب ما يحيّر. وبه طالعان (٧ للماء يسقيان كافة الدار جميعها (احدهما) كبير وسعة ثقبه لو أنزل به بطيخة خضراء وافية بالكبر لنزلت بكل سهولة. و(الثاني) صغير

١) ولعل الصواب «في كل ضدّ وردة من دهان» ٢) البيت مضطرب ولعل تصحيحه: قد زين بالوشي ازدهاء كما قد زين بالوشم زنود الحسان.
٣) لعل الصواب (لساني).
٤) الأولى «عقيدي» ٥) الأولى «شهمٌ» ونحوه
٦) القصورة عند العامة جمع قصر والصواب (قصور)
٧) الطالع في عرف اهل دمشق محل اجتماع المياه للاستقاء

يجري منها الماء الى جميع المحلات اللازمة من الدار ويسقي ذلك البستان . والجنينة الكبرى تشرب من البحرة الكبرى التي تجاه الايوان الكبير . والجنينة الصغرى تشرب من البحرة المستديرة التي تجاه القاعة الكبرى بقساطل تحت الارض . وذلك البستان بعضهُ بقفّ القاعة الكبرى وشبابيك الايوان الصدراني مع الخزانة جميعها تطلّ على ذلك البستان . وبعضه بجانب الدكة المذكورة اعلاه التي بجانب القاعة . والايوان على عرضها . والاستطراق الشرقي الذي بجانب الايوان يُدخل به الى برّاني(١ حمّام بصدر ذلك البراني ايوان محكم الصناعة ولهُ شبابيك غربية وقبلية تطلّ على ذلك البستان المار ذكره .

«وللايوان عتبة واسعة باوسط تلك القبّة بحرة مستديرة صغيرة بمساحة عشرة اذرع استدارتها باربعة انقاب يخرج الماء منها . وتلك البحرة مع القبة جميعها من الحجر الرخام الملوّن وللعتبة قبة مرتفعة كقبب الحمامات . وبتلك العتبة الى الشرق بجانب الايوان باب يدخل منه الى الحمّام (٢ وذلك الحمام جعله بديع الصنعة جعل باوسط الحمام دكة جميلة مُنزّلة بالاحجار المعتبرة وبوسط صدر تلك البركة سلسبيل ينزل منه الماء الى فسقية باول تلك الدكة يخرج منها الماء ايضاً من انقاب متعددة . ويجتمع ماء السلسبيل ويصبّان في سلسبيل ايضاً لتصريف الماء . وجعل في ذلك الحمام ثلاث مقاصير واربعة اجران بدون مقاصير . وفيه ثلاثة اجران تحير العقول بما فيها من الصناعة الجميلة ولم يُرَ مثلها وحجرها من ابدع الاحجار المرمرية بعضها محفور ومنزل به ماء الذهب من عروق واشجار وما اشبه ذلك . والبعض منقوش نافر من العروق والمشجرات اللطيفة . وباحدى المقاصير مغطس جميل وبتلك المقصورة جرن سادة (٣ ليس منقوشاً من ابدع ما يكون من الاحجار التي ليس موجود شبيهاً لها بالرقة دقيق كثيراً بحيث لو اصابهُ احد بيده يسمع لهُ رنة كرنين الصيني . وتلك المقصورة حائطها بجانب ضريح سيدنا معاوية (٤ الاموي الصحابي رضي الله عنه . وجعل تجاه القاعة

١) البراني جمع برنية وهي اناء خزفي اشبه بالجرة وقيل القارورة واراد بها زجاج الحمام
٢) ان حمام هذا القصر كان خرباً في الايام الاخيرة
٣) كلمة فارسية عربت بكلمة (ساذج)
٤) اختلف المؤرخون في محل قبر معاوية بن ابي سفيان الاموي ولاسيما بعد ان خرّب السفاح العباسي آثار الامويين وقيل انه مدفون في مقبرة باب الصغير والله اعلم

الكبرى الى الشمال (ديوان خانه) (١ بخمسة اقواس من الحجر المنقوش البديع على اربعة اعمدة اثنين مزّي واثنين رخام ابيض. وجعل على جوانب ذلك الديوانخانة دكتين متسعتين متقابلتين احداهما شرقية والاخرى غربية وعلى دائرهما الى ارض الدار درابزين من الخشب المدهون وارضها مفروشة بالاحجار الرخمة المنوعة. وفي كل منها فسقية كبيرة مستديرة بثلاث طبقات بعضها فوق بعض

(فالطبقة الاولى) مساحتها بالاستدارة سبعة اذرع و(الثانية) خمسة اذرع. و(الثالثة) ثلاثة اذرع. وكل منها له اثقاب عديدة يخرج منها الماء بشدة وينزل الى اوسط تلك الدكة سلسبيل صغير ينزل به الماء وما بين الدكتين عتبة للديوانخانة منزّلة باصناف الحجارة الجميلة. وفي اوسط القبة بحرة لطيفة يخرج الماء منها من اثقاب متعددة. وفي صدر ذلك الديوانخانة ثلاثة ابواب لثلاث اوض بعضها بجانب بعض في داخل ذلك الديوانخانة. وتلك الاوض متقنة الصناعة من نقش ودهان وخلافه وتجاه الايوان القاعة. وجعل في باقي الدار من الغرف خمسة وعشرون اوضه وكلٌ منها مساحتها قيمة اربعة وستين ذراعاً. وكل منها متقن الصناعة كما ذكرنا من النقش العجيب والدهان اللطيف وفي كل منها من الحلقات الخشب دائرها المنقوش بماء الذهب والدهان البديع مع اتقان اسقفها. ولكل اوضة منها خزانة وعتبة من الرخام البديع. ومصبٌ من حجر القيشاني المعتبر. وعلى دوائرها من المدح في حق صاحب الرسالة من الهمزية والبردة مكتوب بماء الذهب والبعض احاديث نبوية وآيات قرآنية. وبصدر الدار اوضة من جملة الاوض التي كانت معدّة لباني الدار وهي اعظم واجمل واتقن صناعة من كافة الاوض. متقنة الصناعة والكتابة. مكتوب ايضاً على دائرها بماء الذهب تاريخ بمدح صاحب الدار وهو

بيت التهاني باسمٌ مستنيرٌ	بني بتوفيق المعين القدير
شمس المعالي وسط افلاكه	مشرقة ما إن لها من نظيرٌ
والسعد فيه لم يزل قائماً	في موسم الافراح فوق السريرٌ
بخدمةٌ المجد ويأوي الى	ابوابه والعزّ فهو السفيرٌ
يا اسعد الحظّ ويا من له	في ذروة الفخر مقام كبيرٌ

---

١) كلمة تركية بمعنى غرفة خارجية للجلوس فيها احياناً

ساعدك الرحمن ربّ الملا ودمت محروس الجناب الخطير
في دولة عثمانية سرمدًا بحفظ آيات الكتاب المنير
عمّرتَ بالتقوى ديار الهنا ومأمن اللاجي ومن يستجير
ونلتَ كل الخير من ربّنا لأنه اخلص منك الضمير
بشراك نيل القصد يا ذا الملا فالله كافيك ونعم النصير
يا نفحة المندل من ذكره شرقًا وغربًا طاب منك العبير
ووارد الالهام لمّا اتى وفاض بحر الجود ذاك الغزير
اشار بالمدح عقيب الثنا وجاء في بيت شعر يشير
بانك الآمن في سربه ما اعلن الداعي وحيّا البشير
يا جملة الناس قفوا وانظروا عاساً جلّت بناها الامير
بيت الى تاريخه[1] المنا شيّده اسعد باشا الوزير (١١٦٣)

وجعل فيه (دائرة ايضاً للطبخ) فيها بحرة واسعة ومطبخان للطبخ وعشرة اقبوة شيء منها للحطب وشيء للفحم وشيء للمونة وما اشبه ذلك. وجعل فيه خمسة سلالم من الحجر ما ينوف عن اربعة واربعين درجة الى اعلاه وجعل في اعلاه دوائر عبارة عن ثلاثين محلًا. وكل منها عمارتها وابداع صنعتها كالاوض الصغار. ومساحة كل منها عشر بعشر. وابدع من ذلك جعل في الاعلى على ظهر الديوانخانه[2] ايضاً ديوانخانة مثلها كما مشروحة بخمسة اقواص من النقوش البديع على اربعة عواميد من الرخام مثل السفلى. ودكتين متقابلتين وعتبة وكلها مفروشة بالحجر الرخام المرمري وبصدرها ثلاثة دوائر كالاسفل. وجعل في الوجه الغربي من الاعلى ايضاً ديوانخانة والكنها من الخشب البديع الصناعة. وفي صدرها قصر مقسم وبجوانب ذلك القصر من القبلة والشمال يخرج بدرجين متقابلين بعضها لبعض يلتقيان بديوانخانه باعلى السفلى المذكورة. وفي صدرها قصرين مركبين على باب الدار وارتفاعهما من وجه الارض بجانب باب الدار الى اعلاها تية خمسة وخمسين ذراعاً. وتلك القصور احدها مقسم

---

١) رسم (الى) المشهورة كتابتها بالقصورة بالف ممدودة لتوافق جمّل التاريخ للسنة المطلوبة

٢) كتبت احياناً «الديوان خان» وهي تحريف «الديوانخانه»

مساحته مائة وخمسون ذراعاً وله شبابيك بعضها على السوق وهو سوق البزورية وبعضها على الدار وهي متقنة الصناعة. وحلقته وطوانة من ابدع ما يكون ومكتوب على دائره مدح في حق النبي (ص) وابيات هي:

قصرٌ الوزارة منزل السُّعَداء ... حلَّت بك البشرى بطول بقاء
لله منك مقرُّ عزٍّ (١ شُيِّدت ... اركانه بالعزِّ والنعماء
وغدت به وُرْق السيادة والعلا ... تشدو بطيب ترنُّمٍ وغناء
وسرت له من قاسيونَ وسفحهِ ... انفاس نشر الروضة الغنَّاء
بجناب من فيه الوزارة شُرِّفت ... وسمت بسوددهِ على العلياء
شهمٌ لفرط ذكائهِ ولعزمهِ ... خضعت اولو الانظار والآلاء
من قد حمى حجَّاج بيت الله في ... ايام دولتهِ عن اللاواء
وبعدله زادت محاسن جلِّقٍ ... فجرت فواضلها على الشهباء (٢
يا خير من ملك الرقاب بحلمهِ ... وبأسهِ والراحة البيضاء
دُمْ حاكماً في شامنا واسلم لنا ... طول الزمان بعيشة غرَّاء
ما قال تاريخ بيتٍ شُيِّدت ... ارجاؤهُ فيك وفاز بالسرَّاء
يا موطن الآلاء دام بك الهنا ... ببهاء دولة اسعد الوزراء (١١٦٣)

وبجانبه قصر ايضاً مساحته ثمانون ذراعاً وفيه ايضاً من الاتقان وعلى دائره من الكتابة المدح بحق خير البرية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اجمعين والحمد لله رب العالمين — هذا ما تمَّ لنا من اوصاف السراية المذكورة» (اه)

هذا ما رأيته كافياً في وصف ذلك القصر مع بعض رسومه والله من وراء حسن القصد

---

١) اصله «لله منك مقر قد شيدت» فلا يستقيم به الوزن فحرَّرتهُ كما ترى

٢) وفي الاصل «وبعدله المحاسن زادت جلقٌ جرت فواضلها على الشهباء» فحررته كما ترى

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢٣ ابن بابي

﴿زمانهُ ودينه واخباره﴾ هو احد كبار الكتّاب عاش في اواخر القرن الخامس للهجرة واوائل السادس اعني في القرن الحادي عشر للمسيح . اصلهُ من بغداد من نصارى النساطرة وانما انتقل الى مدينة واسط التي كانت في ذلك العهد من حواضر العراق متوسّطة بين الكوفة والبصرة واشتهر بين ادبائها . وقد افادنا عن كل ذلك عماد الدين الاصفهاني في تأليفهِ خريدة القصر وجريدة العصر قال : .Ms de Leide) 881, ff 163, Ms de Paris 3326 ff. 163ʳ) الرئيس ابو غالب نصر بن عيسى ابن بابي الواسطي النصراني توفي بعد الخمسمائة وكان من ظرفاء واسط واعيانها ولهُ شعرٌ لطيفٌ ونظم ظريف وعبارة مستعذبة وكلمات مطربة معجبة . ولم ادرك زمانهُ . انشدني لهُ الرئيس العلاء بن السوادي بواسط سنة ثلث وخمسين وخمسمائة (١١٥٨م) وذكر انهُ كان من بغداد واقام مدةَ عمرهِ بواسط .

﴿شعرهُ﴾ قال ابن السوادي انشدني ابو غالب ابن بابي النصراني الكاتب لنفسهِ (من مجزوّ الكامل) :

وعشقتُ حتّى ما أما ... لُ وهمتُ حتى ما أُفيقُ

وانا بنـدريّ الصبا ... بةِ في الهوى نسبي عريقُ

(قال) وانشدني ايضاً ابو غالب لنفسهِ في جارية دخلت عليهِ يوم كسوف الشمس في لباس اسود (من الكامل) :

عايَنْتُ في حُلَل السوادِ خريدةً ... مثلَ القضيبِ المائل الميّاسِ
قلتُ: أسلَمي ماذا اللباسُ وغيرهُ ... أدّى الى الابهاج والابناسِ
قالت: فهذي الشمسُ أختي عوجلَتْ ... بالافتضاح في اعينِ الناسِ
طلعَتْ فشاكلتُ الضياءَ بطلعتي ... ودَجَتْ فشاكلتُ الدُّجى بلباسي

(قال) وأنشدني ابن بابي لنفسهِ في بغداد سابع ربيع الاول سنة سبع وخمسين (١١٦٢م) يصف غلاماً ورد من سفر شاحباً (من السريع):

فديتُ مَن أقبلَ من سَفْرةٍ ... فأقبلت نفسي على أنسها
وقلتُ اذ أبصرتُهُ شاحباً ... قد خضَّبَتْهُ الشمس من وَرْسها
ما كان عندي انَّ شمسَ الضُّحى ... تعملُ في الخَلق وفي نفسها

ولهُ في غلام رَمِدٍ (من البسيط):

واهيفٍ كقضيبِ البانِ مقلتُهُ ... تُنمَى اليها جفون الشادنِ الخرقِ
قالوا: تمكَّنَ من اجفانهِ رَمَدٌ ... ابدى محاجرَها في حلّة الشرَقِ
فقلتُ: بل وجههُ شمسٌ منوَّرةٌ ... كسَتْ لواحظَهُ من حمرةِ الشفَقِ

ولهُ في غلام خازنٍ (من المتقارب):

أيا خازناً حافظاً للجفا ... ظِ أصبى الانامَ بوجهٍ مليحِ
لئنْ كنتَ تحفظُ مالي لقد ... أضعتَ بهجركَ قلبي وروحي

وقالَ في غلامٍ خيّاط (من الطويل):

مررتُ بخيّاطٍ حكى البدرَ طلعةً ... وشاكلَ غُصنَ البانِ لمّا انثنى قدّا

يَقُدُّ ويَفري الثوبَ ثمَّ يَخيطهُ   فلِمْ ثوبُ قلبي لا يُخاط وقد قُدَّا

وقال في صديقٍ نال رتبةً شريفةً فسها عنهُ (من الطويل):

مَنَحْتُكَ صَفوَ الودِّ اذ نحن جيرةٌ   ومَورِدُنا في الأُنس جمُّ الجداولِ
وأمَّلتُ ما قدكان من رُتَب العُلى   فلا تُخْدِعَنْ لي فيك زَهوَ المُطاولِ
فانَّ الغصونَ الشامخاتِ تَميلُها   جَناها فتدنو من يد المُتناولِ

وقال في الشوق (من البسيط):

عِطفاً سُعادُ فقد أَودَى بيَ الكَمَدُ   وخانَني صاحباي الصبرُ والجَلَدُ
وعُدتُ اطلبُ في تيّار حُبِّكمُ   شريعةً ارتقي فيها فلا أجِدُ
طَرْفي جَنى وفؤادي فيكِ تابِعهُ   فكيفَ خُصَّ بأثواب الضَّنى الجسدُ

وقال في معناهُ وفيهِ لزوم ما لا يلزم (من مجزوء الرمل):

كلُّ يومٍ لا أراكم   هو عندي مثلُ حَولِ
فانا المُدنَفُ بالشو   قِ ولا عُوَّادَ حَولي
جُلُّ ما ألقاهُ فيكم   أن أعانيهِ بحَولي(١

وقد وجدنا لهُ في مجموعةٍ مخطوطة عند المرحوم طنوس افندي اصغر قولًا لابن ابو غالب الواسطي (ص ٤٩ من الكتاب) (من البسيط):

ما زلتُ أزجرُ قلبي عنكم ثقةً   بأنَّ عِقدَكُمُ ما زال محلولا
فحلَّ بي عندكم ما كنتُ أحذرهُ   ليقضيَ اللهُ أمرًا كان مفعولا

وقال يصف المُدام وساقيها (من الطويل):

---

١) الحَول في البيت الاوّل السَّنة وفي الثالث القوّة والجَلَد

وضافيةٍ صهباء من نَسْلِ كَرمةٍ ... منابتُها قد أعرقَتْ في المكارمِ
يطوفُ بها ساقٍ أغَرُّ كأنَّهُ ... هِلالٌ تبدَّى من مُتون النَّمائمِ
لواحظُهُ وَقْعُ الأسنَّةِ دُونها ... وألفاظُهُ سَلُّ السيوفِ الصوارمِ
وفي عارضَيْهِ للمُحِبِّ مَعاذِرٌ ... بخطِّ عِذارٍ كفَّ غَرْبَ اللوائمِ

وقال في غلام (من المتقارب):

تَبسَّمَ عن بَرَدٍ ناصعٍ ... ولاحَظَ عن مُرْهَفٍ قاطعِ
وحطَّ اللِّثامَ فقُلنا الغَمامُ ... تجلَّى عن القَمَرِ الطالعِ

ورُوِي له ايضاً هناك (ص ١٨) قولهُ (من البسيط):

بما بعَيْنَيْكَ من غُنْجٍ ومن حَوَرٍ ... وما بخدَّيْك من وَرْدٍ ومن زَهَرِ
وما بثَغرِكَ من دُرٍّ ومن بَرَدٍ ... وما بهِ من رُضابٍ فائحٍ عطِرِ
وطُرَّةٍ طارَ لُبّي عند رؤيتها ... وغُرَّةٍ تركَتْ عيني على غَرَرِ
وحاجبٍ حجَبَ السلوانَ عن فِكَري ... وعارضٍ غرَّضَ الاجفانَ للسَّهَرِ
وقامةٍ قد أماتَتْني على قدَمٍ ... في مَعركِ الوَجْد والإطماعِ والحَذَرِ
هَبْ لي أماناً من الهِجْران انَّ لهُ ... كأساً تجرَّعتُ منها عَلْقَمَ الصبرِ

٢٤ ابن ابي سالم النصراني

﴿اصلهُ · دينهُ · اخبارهُ · وشعرهُ﴾ هو ايضاً احد الشعراء الذين ذكرهم عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتابهِ خريدة العصر وجريدة القصر (Ms de Paris 1414, ff. 192, Ms de Leide, 881) قال في نسبهِ: هو الرئيس ابو الحسن عيسى بن

الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم» ثمّ ذكر زمانهُ وقد ادركهُ العماد في شيخوخته ورآهُ في اواسط القرن السادس للهجرة كشيخ بهيّ ولم يذكر سنة وفاته . وممّا يؤخذ من كلامهِ انهُ خدم بني مروان اصحاب ميّافارقين وبني بُوَيه . وهذا كلامهُ :

«الرئيس ابو الحسن عيسى بن الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم وكان شيخاً بهيًّا . ولمّا حلّ والدي (١ بالموصل سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م) كان يزورنا ويعرض علينا العم الصدر الشهيد عزيز الدين اليه (٢ ولم اثبت لهُ شيئاً فسألت الآن الشاتاني (٣ فقال: هذا من بيت كبير ابوهُ كان وزير بني مروان بميّافارقين (٤ وامّهُ يقال لها السِتّ الوحيدة قال لها نظام الملك (٥ : أأنتِ السِتّ الوحيدة ؟ قالت: بل الأمة

---

١) والد عماد الدين الكاتب يدعى صفيّ الدين ابا الفرج محمدًا

٢) قول العماد «العمّ عزيز الدين» يريد به عمّهُ ابا نصر احمد الاصبهاني المستوفي وبه عُرف هو بابن اخي العزيز . قال ابن خلكان (ص ٨٩) كان العزيز رئيساً كبير القدر ولي المناصب الجليلة في الدولة السلجوقية ولم يزل مقدَّماً فيها . قصدهُ ذوو الحاجات ومدحهُ الشعراء واحسن جوائزهم . . . وكان ابن اخيه العماد يفتخر به كثيرًا . قتلهُ السلطان سنجر بن ملكشاه سنة ٥٢٥ وقيل ٥٢٦ (١١٣٠ م)

٣) الشاتاني هو علم الدين ابو علي حسن بن سعيد ولد في شاتان بلدة في نواحي دياربكر سنة ٥١٣ (١١١٩ م) وتوفي في شعبان سنة ٥٧٩ (١١٨٣ م) كان اديباً شاعرًا سكن بغداد ومدحهُ العلماء وكان قدم دمشق وعُقد لهُ فيها مجلس وعظ سنة ٥٣٠ (١١٣٧ م) وقدم على صلاح الدين أيوب في مصر سنة ٥٧٣ (١١٧٧ م) فاكرم مثواهُ

٤) بنو مروان المذكورون هنا يُنسبون الى ابي علي بن مروان الكردي تولى بعد ان قُتل باد خالهُ سنة ٣٨٠ (٩٩٠ م) على ديار بكر وعلى المدن اللاحقة بها كآمد وارزن الروم وميافارقين وحصن كيفا وسعى الى مصر فقلّدهُ الخليفة العلوي المعزّ لدين الله ولاية حلب وكانت وفاتهُ سنة ٣٨٢ (٩٩٢ م) قتلهُ اهل آمد فخلفهُ اخوهُ ممهّد الدولة ابو منصور (٣٨٧-٤٠٢) ثم نصر الدولة ابو نصر احمد (٤٠٢-٤٥٣) ثم ابنا نصر سعيد ونصر (٤٥٣-٤٧٢) وآخرهم منصور ابن نصر بن احمد فاستولى على دولته سنة ٤٧٨ فخر الدولة بن جهير (١٠٨٥ م)

٥) نظام الملك هو ابو علي الحسن كان اصله من طوس . اتّصل بالب ارسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي فخدمهُ بصفة وزير فعزّ شأنهُ وبنى المدارس والمساجد . قال ابن خلكان هو اوّل من انشأ المدارس فاقتدى به الناس واليه تنسب المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٥٧ (١٠٦٥ م) قتلهُ صبيّ ديلمي سنة ٤٨٥ في ١٢ رمضان (١٠٩٢ م)

الموحومة. وكان (ابن ابي سالم) مشهوراً بين ارباب الدولة وله اشعار غثّة وسمينة واهية ومتينة وقد ولّدَ الامير تميم بن المعزّ المصري (١ في قوله:

أيرَبُ مِنّا عنَّ ام يرَبُ جنّةٌ حكَيْتُنهنّ ولَسْتُنّ مِنْهُ

بقصيدة اوّلها (من الطويل) :

لقد عَذُبَ الماء من رِيقتِهِ وطابَ الهواء بانفاسِهِنّهْ

وله الى بهاء الدولة (٢ صاحبَ شاتان (٣ وقد سافر الى حصن زياد (٤ (من الطويل) :

تكونُ بِمُفارقينَ ووَحشتي تزيدُ لِنأيٍ عنكمُ وبِعادِي
فكيف احتيالي والمهامِهُ بيننا تحولُ واطوادٌ لحصنِ زِيادِ

هذا ما رواهُ العماد الاصفهاني ولم نقف على ذكر ابن ابي سالم في غير العماد كما انهُ لم يُعرَف سنة وفاتهِ

٢٥ ابو الفتح بن صاعد

﴿اسمهُ ودينهُ وشعرهُ﴾ هو ايضاً من شعراء بغداد الـذين ورد ذكرهم في خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني ومنهُ يُعرف زمانهُ انهُ كان في القرن

---

١) يريد ابا علي تميم بن المعزّ. كان ابوهُ صاحب الديار المصريّة والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المُعِزّيّة. لم يملك ابنهُ تميم بعدهُ لانّ ولاية العهد كانت لاخيهِ العزيز وكان هو شاعراً ماهراً لطيفاً ورد ذكرهُ في كتاب اليتيمة للثعالبي مع كثير من مقاطيع شعرهِ (١ : ٢٣٥-٢٤٥) توفي تميم سنة ٣٧٤ ه وكان مولدهُ ٣٣٧ ه (٩٤٨-٩٨٤ م)

٢) هو بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة بن بُوَيه ملك العراق توفي سنة ٤٠٣ ه (١٠١٣ م)

٣) شاتان قلعة في ديار بكر

٤) قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٧٦) : « حصن زياد بارض ارمينية ويعرف اليوم بخرتبرت وهو بين آمد وملطية وهو الى مَلَطْيَة اقرب »

السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح وقد دعاهُ في كتابهِ (Ms de Leide, 881, f. 54v; Ms de Paris, 1447, ff. 54v) جمال الرؤساء ابا الفتح بن صاعد النصراني.
وقد وجدنا في مخطوط آخر من مكتبة ليدن في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة المتوفى سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠) (Ms de Leide 884) ثمَّ في طبقات الشعراء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٧٥) انهُ يُدعى جمال الرؤساء ابا الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد البغدادي

ولم يُفدنا هؤلاء الكتبة شيئاً من اخبار ابي الفتح إلّا انهم رووا لهُ قطعاً من شعره. فممّا رواهُ العماد الكاتب قولهُ ملغزاً في وصف خيمة (من الوافر):

وذاتِ ذوائبٍ بيضٍ طِوالٍ ... وليس بياضُها من فرطِ كِبْرِ
لها فرْجٌ وليسَتْ ذاتَ بعلٍ ... يطاها الناسُ من عبدٍ وحُرٍّ
وآذانٌ وليس تُصيخ سمعاً ... الى الداعي وليست ذاتَ قَعْرِ
ويحملُ بطنُها عدداً كثيراً ... ولم ترَ حاملاً شخصاً بظَهْرِ
ترى في ساقها قيدَيْ حديدٍ ... وكلٌّ منهما في عرضِ فِتْرِ
وتُنظَرُ اكثرَ الاوقاتِ حُبلى ... وفي وقتِ الولادةِ ذاتَ طُهْرِ
فَفَسِّرْ ما ذكرتُ وكن مُبيناً ... لِما ألغزتُ من معنًى وشِعْرِ

وروى لهُ صاحب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك قولهُ في غلام (من مجزوء الرمل):

زاد في حُسنِ حبيبي ... ما بهِ زادَ الجنونُ
عارضٌ أنبتَهُ الحُسنُ ... وتَرْعاهُ العيونُ

وقال في العِذار (من المنسرح):

يلومُني في هواهُ قومٌ ... ما رأيهم في الهوى صحيحُ

فكيف أسلو وقد بدا لي عذارُهُ الاخضرُ المليحُ

وقال في وصف غلام (من مجزوء الخفيف) :

يا لعيني فسِحْرُها جلّ عن سِحْرِ بابلِ
وجفونٍ قسيّها منعت من تواصُلي
وعِذارٍ تقيمُ عُذْ ريَ عند العواذلِ
تحت صدغٍ مُبلبلٍ زائدٍ في بلابلي
لا تسلْتُ عن هوا هُ وان كان قاتلي

وقد جاء في كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة انّ امين الدولة ابا الحسن هبة الله المعروف بابن التلميذ الطبيب النصراني كتب الى المترجَم جمال الرؤساء ابي الفتح جواباً الابياتَ التالية (١ : ٢٧٥) :

ما نشرُ انفاسِ الرياضِ مريضةً عوّادُها طلُّ الندى وقطارُ
بديمةٍ تيناء تحلّى وَجهها وحبا عليها حنوةٌ وعرارُ
كفلتْ بجروها مؤبدةً بها وكفى صداها جدولٌ مدرارُ
بكتِ السماءُ فأضحكتْها مثلما ابكي فتضحكُ بي الغداة نوارُ
واذا تمارضُها ذكاءُ تنسّمت فتأرّجَ النوّارُ والنوّارُ
مسّتِ الصبا بفروعها مختالةً فصبا المشوقُ وغيرهُ استبارُ
واذا تغنّى الطيرُ في أرجائها ابدى بلابلَ صدرِه التذكارُ
يوماً بأطيبَ من جوادك شاهداً او غائباً تدنو بك الاخبارُ

(له بقيّة)

الشاعرة صافو وفقدان دواوينها

للاب بطرس بوسار اليسوعي احد اساتذة كلية القديس يوسف

ورد في عدد تشرين الاول الاخير من مجلة الحرية البغدادية لصاحبها عبد الجليل افندي رزق الله اوفى فصل بقلم الاستاذ عبد المسيح وزير ذكر فيه الشاعرة اليونانية صافو وروى اخبارها ومدح شعرها وتأسّف على ما فقد من قصائدها فقال ساعة الله (ص ٢٩٥) :

« ولما من اخبار القرون الوسطى ان الاكليروس في تلك العصور المظلمة ارقدوا نار النعرة الدينية المطوية على التعصب الاعمى في صدور الناس فاخذوا يتلفون دواوين صافو على صورة منتظمة . وقد روى العلامة سكاليجر الايطالي ان مؤلفات صافو وغيرها من شعراء الامم الوثنية كانت تجمع في عهد البابا غريغوريوس السابع وتحرق في رومة والقسطنطينية فتثيت شعلا تطرب لها قلوب اولئك الجهلة المتعصبين حتى قال العلامة سيموندز في هذا الشأن : ان العالم لم يتكبد خسارة ادبية اعظم من خسارته في إتلاف قصائد صافو »

هذا ما كتبه في حق الاكليروس عموماً وفي حق احد كبار الاحبار الرومانيين خصوصاً عبد المسيح افندي وزير . ولا يخالف كلامه الحقيقة كل الخلاف فلا يسعنا ان نسكت عنه صيانةً لحرمة الحق ولشرف رؤساء الكنيسة الكاثوليكية . ونحن لا نعرف مبلغ الكاتب من العلم وهذه اول مرة نقرأ له مقالة في احدى المجلات كتبها في وصف امرأة يونانية عاشت قبل الفين وخمسمائة سنة فبلغتنا اخبارها مضطربة متناقضة فأحب ان يحيي ذكرها فنقل على ما نظن مقالته عن بعض المحدثين من المعادين للدين الكاثوليكي دون ان يتثبت صحتها . فها نحن نعود الى ذكر تلك الشاعرة ونبين ما يرويه العلماء الاثبات من اخبارها ومن شعرها ومن سبب فقدانه ونزكي الاكليروس والبابا القديس غريغوريوس السابع من التهمة الموجهة اليهم

من هي صافو ؟

صافو ويقال في اليونانية صابفو [illegible] هي شاعرة شهيرة ازهرت في القرن السادس قبل المسيح . وقد أدت شهرتها في بلاد اليونان الى ان نسب اليها العموم



الشاعرة صافو في اواخر عمرها

اخبارًا متناقضة واساطير متباينة هي الى الخرافات اقرب منها الى الحقيقة. وغاية ما يتفق عليهِ العلماء في عهدنا انها وُلدت في جزيرة لسبوس وهي ميتيلين الحديثة (مدلّي الاتراك) ونشأت فيها. وكان ابوها اسمهُ سكامندرونيم فاختصروه بأسم سكامون (Σκάμων) من اعيان وطنهِ ولها اخوان خراكسوس ولاريكس مات والدها وعمرها ستّ سنين وكانت أمّها تُدعى كلانيس (Κλεΐς) ورد اسمها في شعرها. واخوها لاريكس كان ساقياً في ولائم مجلس بلدهِ (le prytané) لا كما زعم كاتب الحربة حاكم جزيرة ميتيلين وكانت هذه الوظيفة تُعتبر كوظيفة شريفة. وامّا اخوها خراكسوس

فأحبّ فتاة تدعى رودوبيس انتشلها من الاسر وانفق عليها كثيراً من ماله ليتزوّجها حتى وبّخته اخته صافو على تبذيره ماله عليها. وممّا جاء في كتابة قديمة تُعرف برخامة باروس انّ صافو نُفيت مدّة الى جزيرة صِقلية ولا يُعلَم سبب نفيها ثمّ عادت الى وطنها. ولا يُعرَف من امر زواجها إلّا ما ذكرته في شعرها عن ابنتها كلاثيس دعتها بأسم امها. ويؤخذ من شعرها ايضاً انّها عمّرت طويلاً ويُجهل عام وفاتها. وانّما يجعل المحدثون مولدها نحو السنة ٦٨٠ قبل المسيح ووفاتها نحو سنة ٥٥٠ فتكون بلغت السبعين من عمرها

هذا مجمل ما تحقّقهُ ارباب النقد من احوال صافو. امّا ما شاع بعدها عن عشقها وعن انتحارها لخذلان عاشقها فقد نُسبا اليها زوراً اخترعها شعراء الراسح في رواياتهم الغزليّة جزافاً دون سند

٢ الشاعرة

انّ شهرة صافو بين اليونان انّما كان سببُها قريحتها العجيبة في نظم الشعر اليوناني تضمّنهُ ارقّ المعاني وتكسوهُ بألطف التعابير وافصح الالفاظ. وقد بلغ مجموع شعرها تسعة دواوين من الشعر الثنائي (lyrique) يضاف اليها عدّة قصائد في معاني مختلفة كالرثاء والهجو وكان شعرها باحدى اللهجات الشائعة بين اليونان تعرف باللهجة الايوليّة (éolien)

وكانت صافو لغرامها بالشعر والتغني بها جمعت عدّة فتيات من وطنها متيلين ونظمت منهنّ جوقة ملّمتهنّ فنون الغناء وألّفت لهنّ الاغاني المختلفة ووضعت لها وزناً يوافقها رقّةً نُسب اليها فدُعي باسم مخترعتهِ «الشعر الصافيّ» (vers saphique) فكانت هي تتولّى تدبير تلك الجوقة التي كان اهل وطنها يدعونها الى كلّ حفلاتهم لتشنّف مسامع الحضور باصواتها الشجيّة واغانيها الطربة وكانت الادوات الموسيقيّة ترافق اصوات القينات. وكانت صافو ماهرة بنقرها ولاسيّما البربط اليوناني

أمّا مواضيع شعر صافو فدارها غالباً على الحبّ الجنسيّ والغرام إلّا انها لم تخرق حرمة الآداب وتصون نفسها عن الخلاعة. وهذا ما يشهد عليهِ ما بقي من شعرها الى يومنا واشار اليه القدماء.

٣ بقايا شعر صافو وسبب فقدانه

قلنا انّ صافو تركت عدّة مجلّدات من شعرها النفيس ما يدلّ على غزارة مادّتها وجودة قريحتها . وقد عُرفت هذه التآليف بعدها فشاعت بين اليونان ولم يجهلها الشعراء اللاتين الذين نبغوا في عهد اوغسطوس قيصر والقرون الاولى للميلاد . وكلّهم على اختلاف نزعاتهم يطرئون شعر صافو ويقرّون لها بالتفوّق على سواها في الشعر الغنائي اليوناني ولم يصبر إلّا القليل منها على آفات الدهر

ولكن كيف يا تُرى فُقدت تلك الكنوز الادبيّة الثمينة أثبتت الى القرون الوسطى سالمةً او يصحّ القول بانها فُقدت بذنب الاكليروس او انها حُرقت بامر الحبر الاعظم البابا القديس غريغوريوس السابع في القرن الحادي عشر او في زمانه كما نوّه به كاتب مقالة الحريّة ؟

هذا سؤال يلقيه اصحاب البحث والتنقيب وحتى اليوم يقرّون بجهلهم لاسباب فقدان تلك الآثار الادبية آسفين على ضياعها . وليس سؤالهم مقصورًا على دواوين صافو بل يعمّ كثيرًا من تآليف اليونان . كيف ضاعت روايات اسخيلوس الستون ؟ وروايات صوفقلس المئة؟ وتآليف غيرها قديمة من عهد اليونان والرومان؟ وكثير منها لا بأس منها بينها التواريخ والآداب والفلسفة والخطب الاجتماعيّة وكم غيرها وكم ؟ ايجوز ان يُتّهم الاكليروس والقديس غريغوريوس باتلافها ؟

بل كم فُقد من اعمال الآباء القديسين والكتبة الكنسيين التي لم نعرف اليوم غير اسمائها وهي اقرب الى زماننا من اعمال اليونان والرومان . أفيستطيع عبد المسيح وزير ان ينسب ايضاً فقدانها الى الاكليروس والى القديس غريغوريوس السابع؟

ثمّ أيجهل احد أنّ ما وصل الى يدنا اليوم من اعمال اليونان والرومان لم نتمتّع به إلّا بفضل الاكليروس القانوني والرهبان كالبندكتيين وغيرهم الذين جمعوا ما امكنهم منها وعدّدوا في اديرتهم نُسخها فاصبحت منازلهم مستودعات تلك الآثار الجليلة

فان قيل انّ العرب حفظوا للغرب تلك الكنوز فالفضل في نجاتها من آفات الزمان عائد اليهم . اجبنا انّ غاية ما بلغ لاوربّة على يد العرب لا يتجاوز كتب

اليونان الفلسفيّة والطبيّة وبعض كتب الرياضيّات والطبيعيّات والهيئة والجغرافية . أمّا كتب الآداب واللسان والخطب والشعر فلم تنل منها اوربّة شيئاً بواسطة العرب . وأمّا حفظة الاكليروس ولاسيا الرهبان بسعيهم وتفانيهم في خدمة الآداب . أفيقبل العقل ان يقال انّ غيرهم من ارباب الكتبة عاكسوهم فعلاً وأتلفوا مآثر الاقدمين . وزد على ذلك ان تسعة اعشار المعرّبين لاعمال الفلاسفة القدماء وتآليفهم العلميّة انّما كانوا من نصارى الروم والسريان يُدْعون عرباً بالمجاز لا بالحقيقة وعنهم اخذ العرب المسلمون كابن سينا وابن رشد والفارابيّ وغيرهم . فليراجع كتاب الفهرست (ص ٢٤٤) حيث ذكر ابن النديم اسماء نَقَلة كتب اليونان فانّ معظمهم نصارى

فهذا جوابٌ عمومي يكفي لإفحام صاحب مقالة صافو في الحريّة فلا يعود يرمي الكلام على عواهنه دون تروٍّ . ولكن دعْنا نخصّص بالنظر القديس غريغوريوس السابع لنرى ايوجد شاهد صادق على نسبة هذه التهمة اليه

٤ تبرير البابا القديس غريغوريوس السابع من اتلاف شعر صافو

١ واوّل ما نطلبهُ من كاتب الحريّة أو يمكنك ان تثبت بقاء دواوين صافو الى عهد القديس غريغوريوس السابع اعني الى القرن الحادي عشر للميلاد . أفنسيتَ يا صاح انّ أمم البرابرة كانت انقضّت على انحاء اوربّة المتمدّنة فسلبوا ونهبوا وحرقوا وقتلوا وتتابعوا جيلاً بعد جيل مدّة ستة اجيال فكيف لا تنسب اليهم فقدان تلك الكنوز العلميّة والادبية ؟ أفهذا من العدل والانصاف فتنفي المجرمين وتؤثّم الابرار ؟

٢ ولكن هَبْ انّ دواوين صافو نجت من ايدي الشعوب البرابرة التي زحفت على اوربّة من هونيّين وغوطيين وجرمانيين وسكونيّين فاذا يا تُرى كان الداعي الذي دفع غريغوريوس السابع الى ملاشاة اعمال صافو ؟ ألأنّ دواوينها كانت منتشرة بين العموم فتُفسد الآداب بما في اوصافها من الغرام ؟ فنقول لجناب الكاتب انّ دواوين صافو يونانيّة اللهجة وفي عهد القديس غريغوريوس السابع كانت اللغة اليونانيّة نسياً منسيّاً ليس من يفهمها او من يدرّسها حتى بين أدباء القوم . فما كان يُخشى منها ادنى ضرر للآداب . وبقيت تلك اللغة مجهولةً الى القرن الخامس عشر فتشكّى العلماء

كبترارك وغيره من خمولها وتغافي الادباء عن درسها

٣ وكيف نجت من حريق البابا غريغوريوس المزعوم دواوين أخرى لاتينيَّة اللهجة معروفة بما تتضمَّنهُ من المشنَّات والمجون كاوڤيديوس وكاتولس وهوراسيوس أفما كان الاحرى بالقديس غريغوريوس ان يتلفها قبل سواها لشيوع اللغة اللاتينيَّة . فان لم يفعل فذلك دليل على انهُ لم يمسّ دواوين صافو بأذى ولاسيما انَّ شعرها وان تضمَّن اوصافاً غراميَّة فانَّهُ خالٍ من المجون والخلاعة كما نرى في شعراء اللاتين

٤ وغاية ما نعرفهُ عن القديس غريغوريوس السابع انهُ جاهد جهاد الابطال مدَّة اعوام رئاستهِ على الكنيسة (١٠٧٣—١٠٨٥) ليحرّر الكنيسة من ربقة مستعبديها بإبطال زواج الكهنة والمساء تقليد الملوك للاساقفة السلطة الدينيَّة بتسليمهم شاراتها كالعصاة الرعويَّة والخاتم الاسقفي . فقامت قيامة المعاكسين فكان الحبر الاعظم في ذهاب واياب لا يكاد يجد راحة في جهادهِ مع الملك هنريكوس الرابع فهيهات ان يكون تخلَّى لأمر المخطوطات اليونانيَّة ولدواوين صافو . ومن ثمَّ فنسبة ذلك اليه أبعد من ان يصدّقها احد

٥ أمَّا ان قيل ان سكاليجر وهو من كبار ادباء القرن السادس عشر هو الذي روى ما فعلهُ البابا غريغوريوس السابع . فنجيب على ذلك أنّنا لا ننكر ما كان لسكاليجر من العلم والشهرة إلَّا أنّنا كنَّا وَدِدنا قبل كلّ لو أتانا عبد المسيح افندي بنصّ سكاليجر بحرفهِ الواحد اذ لم نطَّلع عليهِ سابقاً . ثمَّ ولو افترضنا انهُ قال ذلك فما نصيبُ قولهِ من الصحة وعلى اي كاتب استند ليروي هذا الخبر وبينهُ وبين زمن البابا غريغوريوس خمسمائة سنة . بل نجد في منتقدي تآليف سكاليجر العصريين مَنْ ينسبهُ الى التهوُّس والمبالغة . فهذا النقَّاد الكبير في عصرنا اليهودي سليمان ريناخ المعروف بتآليفهِ العديدة وبمعرفتهِ لآثار اليونان فانهُ يدعو سكاليجر في كتابهِ الدستور اللغوي « كاتباً زائد التشُّه والغرابة » (١) (un auteur plein d'extravagances) فان كان امرهُ كذلك أفيجوز ان نرضى بحكمهِ دون ان يدعمهُ بالادلَّة القاطعة؟

٦ ولنا شواهد اصدق واقرب الينا من شهادة سكاليجر فانَّ عدَّة مؤرخين من كاثوليك وبروتستانت رووا سيرة الحبر الاعظم غريغوريوس السابع مستندين الى

(١) S. Reinach: Manuel Philologique I, p. 7

اوثق الاسانيد التي استخرجوها من سجلات المكاتب الدولية الكبرى ومنهم فليش (A. Fliche) فانهم لا يابهون البتّة الى ما تنقلهُ زورًا كاتب الحرّية وبين هؤلاء الكتبة رجال من اعداء الكنيسة الكاثوليكيّة كالتشيع للوثروس فوانت (Voigt) فانهُ سكت عن تلك التهمة الباطلة. ومثلهم الذين كتبوا تاريخ الآداب اليونانيّة وذكروا صافو وشعرها كاوتفريد موللر (Otfried Muller) وايغر (Egger) وكرواز (Croiset) فان لا احد منهم يذكر البابا غريغوريوس السابع بسوء في حقّ صافو

٧ وغاية ما وجدنا في تاريخ الاداب المدرسيّة للاستاذ سندي (Sandy) الذي عنوانهُ (A History of classical scholarship, p. 498) ما تعريبهُ: «ان اقبال العموم على درس التآليف المدرسيّة القديمة كان ضعُف في القرن الحادي عشر وانّ البابا غريغوريوس السابع لانشغالهِ في مناهضة هنريكس الرابع لم يجرّد فكرهُ للتآليف الادبيّة القديمة» . فلعمري ان كلاماً مثل هذا لا يشعر بان إمام الاحبار اتلف او حرق تآليف صافو او غيرها وانّما لم يتفرّغ فقط للاهتمام بها كأسلافهِ ونحن نسلم بذلك لعبد المسيح افندي

٨ وممّا يزيد كلام عبد المسيح وزير غرابةً نسبتهُ الى الحبر الاعظم حريق التآليف الادبية القديمة في القسطنطينيّة كما في رومية. وهذا من التطرّف في مكان. فكلّ يعرف انّ سلطة الحبر الاعظم في القرن الحادي عشر كانت ضعفت جدًّا بين الروم وليس كاتب واحد رومي او غيره قال مثل هذا القول ولا نعلم أذهبَ اليهِ سكاليجر وما لا ريب فيهِ انهُ كذبٌ محضٌ لا نصيب لهُ من الصحة ومجرّد القول بهِ يكفي لنبذهِ نبذ النواة

وفي ما سبق كفاية لتبرير القديس غريغوريوس السابع ممّا اتُّهم بهِ وأملنا من كاتب مقالة مجلة الحرّية ان يُصلح كلامهُ صيانة لشرفهِ ورعايةً لعرض احد احبار رومية الاجلاء الذي بفضلهِ عادت الكنيسة الى استقلالها من السلطة المدنيّة والى بهائها السابق

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثامن

اسرة بني الغرب البحتريين في بيروت

انّ تاريخ بيروت في عهد مماليك مصر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأخبار أُسرة شريفة من الامراء الذين عُرفوا بأمراء الغرب وبفضل واحد منهم حصلنا على تاريخ اسرتهم نريد بهِ صالح بن يحيى . وهو الذي نشرنا تأليفهُ تباعاً في السنتين الاولَيين من مجلة المشرق ثم طبعناهُ على حدة وهو منقول عن نسخة فريدة في خزانة المخطوطات العربية في باريس موسومة بالعدد ١٦٧٠ وعنوانهُ هناك «تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني الغرب»

فأحببنا ان نفرد هنا بحثاً لما رواهُ المؤلف عن اعمال بني الغرب الامراء في بيروت. نجرّد ذلك عن كتابهِ حيث ورد مبثوثاً مشتّتاً فجمعناهُ في هذا الفصل كتتمّة لاحوال عاصمة لبنان في القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر في مُدّة حكم المماليك المصريين على سوريّة (ص ٦٥)

﴿ من هم الامراء بنو الغرب ﴾ رفع يحيى بن صالح نسبهم الى الامير ناهض الدولة ابي المشاكر مُجتر الذي ينتهي نسبهُ الى تنوخ ومنهُ الى المناذرة ملوك الحيرة اللخميين اللاحق نسبهم بسلالة زيد بن كهلان ثم بقحطان جدّ العرب

كان التنوخيّون اجداد البحتريين قبائل نصرانيّة قبل الاسلام كما اثبتنا ذلك في عدّة مواضع من كتابنا «النصرانيّة وآدابها في عهد الجاهليّة» (راجع الصفحات ٣١ و٧٨

١٢٧ الخ) وبقيت تنوخ على دينها زمناً بعد الهجرة الى ان غلب عليها الدين الاسلامي لامتزاجها بالمسلمين وللضغط عليها كما روى المؤرخون ومنهم الطبري

واستوطنت تنوخ بعد الاسلام جهات الجزيرة والفرات والى عربها ينتسب اجداد امراء الغرب. وقد روى صالح بن يحيى (ص ٦٩) انّ احد اجدادهم ابا اسحق ابرهيم كان اميرًا بالبيرة (بيرهجك) القريبة من الفرات سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) وذلك في عهد الملك الظاهر ابي الحسن عليّ احد الخلفاء الفاطميين

وقدم ابن الامير ابرهيم ويسمّى مجد الدولة عليًا الى لبنان فولّاهُ ملوك مصر على معاملة الغرب في الجبل وعلى سواحل الشام. ولعلّهُ هو الذي كان متوليًا على بيروت لمّا مرَّ بها الصليبيون اوّل مرّة سنة ١٠٩٩م قبل فتحهم للقدس الشريف فصالحوهُ ولم يفتحوا المدينة وكان الحكم في تلك السنة صار للسلجوقيين على الشام. ثم فتح الفرنج بعد عشر سنين مدينة بيروت وبقيت في يد التنوخيين امارة الغرب فتحصّنوا فيها. وكانت معاملة الغرب وتنتشر تمتدُّ الى معظم بلاد الشوف الحالي ولاسيما ما يعرف اليوم بنواحي الغرب الاقصى والغرب الاعلى والغرب الشمالي وبعض جهات الشحّار والمناصف وذلك ما يُدعى في مناشير بني الغرب جبل بيروت

وقد اشتهر بعد الامير عليّ ابنهُ بُحتر. ذكر لهُ صالح بن يحيى (ص ٦٧) منشورًا نالهُ من الاتابك مجير الدين آبق بن طغتكين في محرّم سنة ٥٤٢ (حزيران ١١٤٧) يقرّر فيه الامير بُحتر على امارة الغرب من جبل بيروت بعد ابيه

وفي اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٦٦٥ــ٦٦٦) انَّ بُحتر المذكور نجا من القتل لمّا استولى الصليبيّون على بيروت وفتحوها بالسيف وقتلوا من كان فيها وفي جهات الغرب من الامراء. وكان بُحتر صغير السنّ فخفتهُ امّهُ في عرامون. ثم ترعرع ونشط وحارب الفرنج ونال منهم في واقعة رأس التينة عند نهر الغدير. وكانت وفاتهُ سنة ٥٥٢هـ (١١٥٧م). هذا ما رواهُ الشيخ طنوس الشدياق ولم يذكر اسانيدهُ في روايته

وخلف بحترًا ابنهُ زهر الدولة ابو العزّ كرامة بن بحتر التنوخي فجرى على مثال والدهِ في محاربة الفرنج فشكرهُ على فعلهِ الملك نور الدين محمود بن زنكي ومنحهُ منشورًا اثبت لهُ فيه اقطاعات والدهِ وزاد فيها كما روى صالح بن يحيي (تاريخهُ ص ٧١)

وكانت الدعوة الدرزيّة في تلك الاثناء انتشرت في لبنان لا سيما في وادي التيم وانحاء الشوف بدعوة بعض الباطنيّة اصحاب الحاكم بامر الله الذي ادّعى بالربوبيّة فتبعهُ كثير من البحتريين امراء الغرب وغيرهم فأطلق على الاحياء الذين قبلوا دعوة الفاطميّ في وادي التيم اسمُ آل عبدالله وبه دعاهم صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ٧٠) أمّا دروز صفد فدعوا آل تُراب (ص ٢٧٩ـــ٢٨٠)

وممّا رواهُ صالح في تاريخهِ (ص ٧٤ـــ٧٥) وابن سباط من بعده ولم نجد لهُ ذكرًا في تواريخ الصليبيين انَّ صاحب بيروت الفرنجي ولم يصرّحا باسمهِ والمرجّح انهُ المسمى غوتيه سيّد بيروت (Gauthier, sire de Baruth) عادَى اولاد الامير كرامة ولم يزل يجاملهم حتى غدر بهم وقتلهم غيلةً ونهب بلادهم . ودونك الخبر كما رواهُ صالح وابن سباط (ص١ من نسخة مكتبتنا الشرقية) :

« بعد وفاة زهر الدولة كرامة اقام اولادهُ الثلثة الكبار مقامهُ فقادهم للتيّم مقام الافرنجي صاحب بيروت وآنسهم وتكرّر اجتماعهم معهُ في الصيد وهو يطيبهم ويُحسن اليهم ثمَّ دعاهم الى عرس ابنه . فلما كان وقت العرس قدم الثلثة الى بيروت فأنزلهم صاحبها في بستان ظاهر البلد واعتذر اليهم لايوائهم خارج البلد لكثرة ما اجتمع فيهِ من طوائف الفرنج لوليمة العرس وزاد في اكرامهم . ولمّا دخل الليل سألهم الحضور الى مجلس خاصّ قد هُيّئ لهم وللملوك الفرنج فدخل الثلثة الى القلعة ومعهم نفر قليل فكان آخر العهد بهم . وركب صاحب بيروت بمن عندهُ من جموع الفرنج في صبيحة تلك الليلة وطلعوا الى حصن سرحمول الذي كانوا يقيمون فيهِ وكان خاليًا من الرجال فهرب من كان بهِ ومن جملتهم حجى(١ اخو الامراء الصغير وكان عمرهُ سبع سنين هربت بهِ امّهُ الى الدوير . فنهبت الفرنج الحصن وهدموهُ والقوا حجارتهُ في الوادي ولم يبقوا لهُ اثرًا واحرقوا القرى واسروا من تخلّف من الغرب »

هذا ما رواهُ الكاتبان ولم يتّفقوا في تعيين سنتهِ فانَّ ابن سباط يجعل وقوعهُ سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤ـــ١١٧٥) أمّا صالح بن يحيى فيقول (ص ٧٥) : انَّ هذه الكائنة وقعت في اواخر دولة الملك العادل نور الدين بن زنكي والملك العادل توفي في شوّال سنة ٥٦٧هـ (١١٧٢م) فيكون الفرق بين الكاتبين نيفًا وستين . وزاد الكاتبان انَّ الملك الناصر صلاح الدين لمّا فتح بيروت بعد ذلك سنة ٥٨٣ لبس رأس

١) كُتب هذا الاسم في الاصل «حجي» وقد افادنا الامير شكيب ارسلان ان الصواب «يحيى»

حجي بن كرامة وقال له: «ها قد اخذنا ثارك من الفرنج فطيّب قلبك وانت مستمرّ مكان ابيك واخوتك». وكتب له منشورًا في ذلك تاريخه «بارض بيروت في العشر الآخر من جمادى الاولى سنة ٥٨٣» (١١٨٧ م)

ولم تبق بيروت زمنًا طويلًا في ايدي المسلمين كما سبق فرجع اليها الصليبيّون وثبّتوا فيها سلطتهم وتملّكوها من السنة ١١٩٧ الى ١٢٩١ في عهد الملوك الايوبيين ثمّ المماليك الاتراك على مصر. ففي تلك المدّة من السنين كان امراء الغرب يحشّدون قواهم في وجه الفرنج ويبنون فيها الابنية الفخمة ممّا بقي بعض آثاره الى يومنا في اعبيّة وعرامون وعيناب ونواحي الدامور

على انّ ملوك مصر ما كان ليهدأ لهم بال والفرنج بجوارهم في قلب البلاد او يتهدّدون باساطيلهم سواحل الشام فوكلوا الى امراء الغرب ان يقفوا لهم بالمرصاد ويتصدّوا لهم ويعرقلوا امورهم ويلازموا نظر سواحل بيروت. وفي كتابات امراء الغرب الى ملوك مصر والى الامراء عمّالهم تطمين لبالهم يؤكّدون لهم صدق خدمتهم ومناهضتهم للفرنج وكانوا اذا حدث امر هامّ يعلمون به ملوك مصر. فانّ الملك الظاهر بيبرس يثني على اميري الغرب زين الدين علي وجمال الدين حجي لهمّتهما في مكاتبته عن احوال سواحل الشام ولما اخبراه من امر زواج ابنة صاحب بيروت من ابن ملك قبرس (ص ٨٣ و٩٦)

على انّنا نرى مع ذلك في بعض الاحوال انّ المعاملات بين الفرنج وامراء الغرب كانت وديّة لنا على ذلك شاهدان في ما ذكره صالح بن يحيى. وهما المنشوران اللذان اشرنا اليهما ورواهما في تاريخه (ص ٨٣—٨٤ و٢١١—١١٢) الاوّل لصاحب صيدا رينو (Renaud de Sagette) كتبهُ سنة ١٥٦٧ للاسكندر (١٢٥٦ م) والثاني لهمفري دي مونفور (Humftoy de Monfort) في تاريخ سنة ١٥٩٢ يونانية (١٢٨١م)

واخبر في محل آخر من تاريخه (ص ٨٧) انّ الامير سعد الدين اخا الامير حجي المذكور كان مولعًا بصيد الطيور الجوارح وان صاحب قبرس الفرنجي والاصح صاحب بيروت كان يهديه طيورًا وذلك ما يثبت تلك العلاقات الوديّة بين الفرنج وامراء الغرب وممّا رواهُ ايضًا عدّة مناشير للملك الظاهر بيبرس (٩٥—٩٨) يوجّهها الى اميري

الغرب زين الدين علي وجمال الدين حجى الكبير يقرّر فيها اقطاعاتهم ويحسن اليهم . ولعلّ ما نالاهُ من النعمة من قبل السلطان هو الذي حرّك الحسد والبغض في اعدائهم بني ابي الجيش فسعوا بهم الى الملك ظاهر بيبرس وزوّروا باسمهم كتابات الى الفرنج الى صاحب طرابلس فبلّغوها الى الملك بيبرس . فحنق عليهم وارسل فاوقف الاميرين المذكورين وسعد الدين خضر اخا جمال الدين حجى واعتقلهم فحبس الامير زين الدين علي في سجن مصر والامير جمال الدين في الكرك وسعد الدين خضر في قلعة عجلون ولم يقبل فيهم شفاعة . وبقوا مدّة سنين في حبسهم الى سنة وفاة الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) ولم يخرجوا من السجن إلّا في عهد ابنهِ الملك السعيد ناصر الدين بركة (اطلب تاريخ صالح ٩٨—١٠١)

وعاد الامراء الثلثة الى اوطانهم . وتكرّرت الشكوى عليهم الى الملك منصور قلاوون لميلهم الى الفرنج الصليبيين المتملكين على سواحل الشام لاسيما صيداء وبيروت . فكتب الاميران زين الدين علي وجمال الدين حجى واولادهما الى الملك يتنصّلون من تلك التهمة ويؤكدون خلوص خدمتهم للدولة المنصوريّة ويصرّحون بانهُ ليس منهم احد يحبُّ الفرنج او يميل اليهم او يناصحهم وانَّ ما نُسب اليهم انما هو تشنيعٌ من اعدائهم ومبغضيهم (تاريخ صالح ١٠٣—١٠٦)

امراء الغرب في بيروت ١٢٩١—١٥١٥

بقي امراء الغرب في جبلهم الى ان فُتحت بيروت نهائياً سنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م) على عهد السلطان الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ملك مصر فكان امراء الغرب اوّل من دخلها . واخصّهم الامراء زين الدين صالح بن علي وجمال الدين حجي وسعد الدين خضر الذين مرَّ ذكر اعتقالهم في عهد الملك الظاهر . وفي السنة الثالثة لفتح بيروت ١٢٩٤ استقرَّ دركهم على بيروت فاقاموا لحراستها تسعين فارساً قسموهم ثلثة اقسام وجعلوهم ابداً لا يقيم ثلثون منهم شهراً ثم يعقبهم بدل آخر بالمناوبة (تاريخ صالح ٦٣—٦٤) . وفي اثناء ذلك استرجعوا ما كان نُزع منهم من الاقطاعات واستبدلوا ما كان لهم منها في جهات طرابلس فجعلوها على دركِ بيروت (صالح ١٠٦) في زمن سلطنة الملك الناصر محمّد بن قلاوون (١٢٩٣م) . وقد اشتهر اذ ذاك الامير

ناصر الدين حسين ابن سعد الدين خضر وهو الذي افاض في وصفه صالح في تاريخه (ص ١٢٠ــ١٢٨) . وقد عُني بأحوال بيروت وحفظ ثغرهِ مع عدَّة رجال يساعدونهُ فدحهُ في ذلك احد شعراء زمانهِ قائلًا :

أيا ابنَ امير الغرب شرقًا ومغربًا … ومَن كلُّ عُرْفٍ غير عُرفهمُ نُكْرا
بإحسانك المشهور بيروتُ بلدةٌ … على الساحل المعمور صار لها ذِكرا
تبسَّمَ عُجبًا ثغرها وترنَّحت … معاطفُها تيهًا وجلَّلها البِشْرُ
وكان عليها الكفرُ والشرك دائمًا … فُمذ حلَّها مولايَ عاد لها الفخرُ
وعاوَدها أنسٌ بقُرب ركابكم … ولولاكمُ ما افترَّ يومًا لها ثغرُ
بكم قرَّ عينًا للغريب وإنَّما … حسينُ بن خضر ظلُّهُ فوقهُ ستْرُ
هو الناصر المعروف بالجود والتُّقى … لهُ الفضلُ والاحسان والعطفُ والبرُّ

وفي السنة ٧٤٣ (١٣٤٣ م) امر الملك اسمعيل ابن الملك الناصر بتجريد فرقة من بني الغرب ليحاربوا معهُ اخاهُ الناصر شهاب الدين احمد الذي خلعه اهل الدولة لسوء سيرتهِ بالرعية فكان احتلَّ قلعة الكرك وتحصَّن فيها فسار ناصر الدين بمائتين وخمسين رجلًا من بيروت وحاربوا السلطان احمد الى أن نفد ما عندهُ من الطعام فطلب الامان وقُتل بالسيف . فعاد ناصر الدين الى بيروت

وقد اشتهر ناصر الدين خضر بما شيَّدهُ من المباني في اعبيه وبيروت . وقد وصف صالح في تاريخهِ (ص ١٥٠ــ١٥٣) عمائرهُ في اعبيه . اما ابنيتهُ في بيروت فخصَّ بها فصلًا ننقلهُ هنا لافادته قال (ص ١٤٩ــ١٥٠) :

«لما جُعل دَرَك امراء الغرب في بيروت كما ذكرنا واقتنوا ثلثة ابدال اتخذوا الكنيسة التي شرقي البلد داخل السور (١) فكانت لهم منزلًا وكانت هذه الكنيسة تُعرَف بكنيسة افرنسيك (٢) . ويزعم الفرنج انَّ افرنسيك هذا قدّيس ظهر متأخر من مدة مائتي سنة

(١) حيث الجامع المجاور لباب الشرقي القديم ليس بعيدًا عن السراية القديمة

(٢) يريد القديس فرنسيس الاسيزي منشئ الرهبانية الفرنسيسية وكان للفرنسيسيين في بيروت دير على اسم القديس يوسف أُخذ الكنيسة فكانت على اسم المخلص تذكارًا لاعجوبة الصليب الذي سال منهُ الدم بضربة بعض اليهود . وكان الرهبان يسكنون ذلك الدير ويخدمون كنيستهُ في عهد

(١مضت الى هذا التاريخ . وكانت هذه الكنيسة كبيرة فجدان السقف اسطبلاً (كذا) وجعلوا في اعلاها اطباقاً. وهي في وقتنا هذا (٢ بيت لبني الحمراء. (٣ فنالوا حجارها الى مدرستهم وذلك بعد العشرة والثلاثة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) وكانت معروفة بالسلف (٤ وهم لم يعمروا فيها بدلاً بعد بدل حتى جرى من الجنوية ما جرى واخذوا قرقور الكتيلان فكره ناصر الدين الكنيسة ليعدها عن البحر واختار ان يكون مجاوراً للبحر فاتخذ الحارة التي على جانب البحر وعمّر الطباق على الاقبية ودارًا عليها سور فجاءت احسن ما يكون وجعل الطباق مسجداً. ولما سكنها ناصر الدين بن يضاف اليه من بدلو استمرّ بدل الحراموتيت (٥ في الكنيسة المذكورة. واما بدل الحيابنة(٦ ومن أضيفوا اليهم فاتخذوا لهم الدار المعروفة بدار صاحب بيروت المجاورة للحمّام العتيق . . . ثمّ بعد استهلاك ناصر الدين الحارة الجديدة المذكورة استملك الزقاق المعروف بزقاق الحيّالة وهو من باب الحارة جهة القبلة الى قرب الحمام العتيق جانبي الزقاق يمنة ويسرة»

امّا حادث الفرنج الجنويين الذي اشار اليه صالح فقد جرى سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م) وقد مرّ ذكرهُ (ص ٨٦٧) وزاد صالح في تاريخهِ : «انّ امراء الغرب وتركمان كسروان طلبهم تنكز الى دمشق وحصلت لهم اهانة واذيّة» . قال الشيخ الشدياق في اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٢٣٥) :

«وسجنهم تنكز فالتمس الامير ماروجا الدمشقي منهُ اطلاق الامير ناصر الدين الحسين من التلمة فاطلقهُ. ثمّ اطلق باقي الامراء لعدم ثبوت ذنب عليهم وامرهم بالاقامة في بيروت فعمّر الامير ناصر الدين الدار المتطرّفة على جانب البحر»

توفي ناصر الدين سنة ٧٥١ (١٣٥٠م) ثمّ حارب الجنويون ثغر بيروت سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢م) كما سبق شرحهُ وكان انتصار المسلمين عليهم بفضل امير الغرب.

الامراء الصليبيين المالكين لبيروت فخرجوا منها بفتح الملك الاشرف للمدينة سنة ١٢٩١ ثمّ عادوا الى بيروت بعد مدّة وسكنوا في قسم صغير من ديرهم القديم او بجواره . وقد ذكر السائح في اواسط القرن الرابع عشر هذا الدير الصغير وبقيت الكنيسة الخاص في حوزة المسلمين راجع GOLUBOVICH: Superiori di Terra Santa, p. 216

١) توفي القديس فرنسيس سنة ١٢٢٦

٢) اي وقت كتابة تاريخ صالح في اواسط القرن الخامس عشر

٣) كانوا حيّاً من عرب البقاع نزلوا عند رأس بيروت

٤) يريد بالسّلف امراء الغرب القدماء اي كانت تُنسب اليهم

٥) ايْ امراء الغرب اصحاب عرامون

٦) اي امراء الغرب اصحاب عِيناب

سيف الدين يحيى فنجت بيروت من غيلتهم . وانما بيدمر نائب دمشق لم يعترف ليحيى بحسن صنعهِ بل اغلظ لهُ الكلام وادَّعى انهُ تمالى للفرنج واخرج عنهُ اقطاعهُ . وقد بيَّن ابنهُ صالح في تاريخ بيروت(ص ٢٣٠ــ٢٣١) سبب غضب بيدمر على ابيه

وروى ايضاً ما ابداهُ الامراء بنو الغرب من النخوة والشهامة في مقاتلة الجنويين سنة ٨٠٦ (١٤٠٣م) لما نزلوا بيروت ونهبوها . (راجع الفصل السابق)

وكانت قبل ذلك سنة ٧٩١(١٣٨٨ م) ظهرت امانة بني الغرب للسلطان الملك الظاهر برقوق لما حصلت بينهُ وبين السلطان حاجي منصور منازعات في الملك كان الانتصار فيها للملك الظاهر . ولما حاصر دمشق استدعى اليهِ امراء الغرب وامرهم ان يقبضوا على الامير باز (ويروى: بار)والي بيرو من قبل السلطان حاجي ويحضروهُ معهم . فاجابوا الى طلبهِ وقدَّموا لهُ رصاص منجنيق لضرب دمشق كان طلبهُ منهم وبقوا في خدمتهِ الى ان سار لمحاربة منطاش والعساكر المصريَّة في شقحب فزحفوا معهُ ثمَّ انهزموا وهم يظنُّون انَّ الملك الظاهر برقوق مكسور فرجعوا الى الغرب ألا انَّ الجنود المنطاشيَّة حلت عليهم وقتلت كثيرين منهم ونهبوا ما وجدوا لهم في بيروت . ولم تزل امورهم في اضطراب الى ان قُتل منطاش وعادت الامور الى مجاريها وثبت الملك للسلطان الظاهر . وفي اخبار الامراء بني ارسلان (راجع اخبار الاعيان ص ٦٧٢) انَّ احد الامراء اسلافهم سيف الدين ابن مفرج ابلى في محاربة منطاش وذويهِ بلاء حسناً وكسر جيشهُ فاقرَّهُ السلطان الملك الظَّاهر اميراً على بيروت والغرب

ثمَّ ابدى هذا الامير مثل تلك الشجاعة في محاربة الفرنج سنة ٨١٥هـ (١٤١٣م) لما حضروا بسفنهم الى سواحل الشام وتهدَّدوا بيروت فردَّهم الامير وجماعتهُ خائبين (اخبار الاعيان ٦٧١ــ٦٧٢)

وما ذكرهُ صالح من الابنية لابيهِ سيف الدين يحيى في بيروت ايوانٌ بديع مات قبل نجاز رصفهِ بالرخام وزخرفتهِ سنة ٧٩٠(١٣٨٨) . وروى انهُ اجرى الماء الى حارتهم المجاورة للبحر المعروفة بهِ . ووصف كرم ابيهِ يحيى وما تكافأهُ على رفقتهِ لما حجَّ معهم الى مكة وما صرفهُ في الهدايا للملوك والامراء وفي ابنيتهِ في اعبيه حتى انهُ لما مات تخلَّفت عليهِ الديون فوفاها ابنهُ فخر الدين عثمان (صالح ٢٤٩) الذي توفي بعد ابيهِ بزمن قليل سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٣م)

ومن ابنية بني الغرب في بيروت قصرٌ ذكرهُ ابن سباط في تاريخه (ص ٣١ من نسخة مكتبتنا الشرقيَّة) قال انَّ بانيهُ هو الامير زين الدين عمر بن عيسى بن صالح التنوخي المتوفى سنة ٨٦٤ (١٤٥٩م) روى عنهُ انهُ «كان لهُ عناء في البنيان وهو الذي بنى القصر المشهور في مدينة بيروت وهو كائن الى الآن» اعني السنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) وفيها كتب ابن سباط تاريخهُ في نسبة آل تنوخ

ومما ذكرهُ صالح عن جدّهِ زين الدين صالح ناصر الدين حسين انهُ لمَّا دخل بيروت بعد فتحها بيَّض جامعها الذي كان كنيسة للفرنج قال (ص ٥٨—٥٩) :

«لمَّا كان الفرنج مستولين على بيروت كانت جماعة المسلمين قليلة ولا جامع لهم فلما قدَّر الله بترجعها من يد الفرنج استقرَّت كنيستهم جامعاً وكانت تُعرف عندهم بكنيسة مار يوحنَّا . كان بها صُوَر طلاها المسلمون بالطين وبقي الطين الى ايام الجدّ (زين الدين صالح) فبيَّضه وازال عنهُ آثار تلك الصوَر»

وآخر ما رواهُ صالح حملة بني الغرب مع الجيوش المصريَّة على قبرس وكان صالح يأسر على غراب وتحت امرهِ نحو مئة رجل وقد فصل اخبار تلك الحملة في ملحق تاريخ بيروت فرويناها في مجموع مكتبتنا الشرقيّ (Un dernier écho des Croisades, MFO, I. 307-327)

هذا غاية ما استفدنا من تاريخ بيروت لصالح بن يحيى عن مآثر بني الغرب في بيروت في عهد المماليك الاتراك والجراكسة المصريين الى سنة الفتح العثماني للشام سنة (١٥١٦م) (لها بقية)

نظر عام
في احوال الكنيسة القبطيَّة غير الكاثوليكيَّة

لحضرة الاب عمانوئيل رولان اليسوعي

اتاحت لنا العناية الالهيَّة السكنى في صعيد مصر سنين طوالاً فعاشرنا الاقباط غير الكاثوليك فضلاً عن الكاثوليك فعرفناهم حق المعرفة ودرسنا احوالهم . وهذه نبذة ملخَّصة نعرضها على قرَّاء المشرق بياناً لما تحقَّقناهُ من امور كنيستهم

معلوم انَّ اسم القبط مشتقٌّ من اسم مصر باليونانيَّة (Αἴγυπτος) يدلُّ على

امّة النصارى الذين ثبتوا على دينهم بعد الفتح الاسلامي وقد دان قسمٌ كبير منهم بالديانة المحمّدية

يُصرّح الاقباط بان اوّل من دعاهم الى النصرانيّة القديس مرقس الانجيلي تلميذ بطرس الرسول القائم منهُ رئيساً على الكنيسة الاسكندريّة (١ نحو السنة ٤٠ للمسيح. فنشأت الكنيسة بهمّتهِ وازدهرت في قرون النصرانيّة الاولى حتى بلغت قبل بدعة ديوسقورس والقائلين بالطبيعة الواحدة الى سبعة ملايين من المؤمنين في وادي النيل.

وفي الصعيد كان منشأ الرهبانيّات بعد القديسين العظيمين بولا وانطونيوس الكبير فتعدّدت الاديار واصبحت البراري اشبه بالمدن العامرة يسكنها النسّاك وقد زرنا قريباً من المنية مدينة البهنساء التي كان يبلغ عدد رهبانها عشرة آلاف وراهباتها عشرين الفاً

وما لنا نذكر تلك الازمنة المباركة التي بلغت فيها الكنيسة القبطيّة اوج عزّها بشهدائها واحبارها ومعلّميها وقدّيسيها كفى بذكر اسمائهم تخليداً لمجدها فانّ اثناسيوس وانطونيوس وباخوميوس وكيرلس واوريجانوس ومثين غيرهم لا يزال العلماء يستضيئون بنبراسهم وهم ابطال الايمان الكاثوليكي الذي ورثوهُ من الكرسي البطرسي فحفظوهُ بكل حرص الى ان قام ذلك المبتدع الشرّير ديوسقورس فجرّد كنيسةً عن تلك المفاخر وعلى مثال أريوس شقّ رداء المسيح. وكان اوّلاً متحداً مع الكنيسة الرومانية اذ كان شمّاساً للقديس كيرلس البطريرك الاسكندري ولمّا أقيم لهُ خلفاً على كرسيهِ اسرع كاسلافهِ وأعلم بتنصيبهِ الحبر الاعظم. فكان جواب القديس لاون الكبير تحريضاً لهُ على الثبات بالاتحاد مع خليفة القديس بطرس كما كان القديس مرقس متحداً مع ذلك الرسول. ويوصيهِ بامور أخرى غيرها تجدها في رسالتهِ

فما كان من امر ديوسقورس إلّا انهُ بعد قليل شقّ الكنيسة الحقيقية وشقّ عصا الطاعة للحبر الروماني وجاهر ببدعة اوطيخا ناكراً طبيعتيِ السيد المسيح مدّعياً انّ القائل بهما يناصر البدعة النسطوريّة الذاهبة الى القول بانّ في السيّد المسيح اقنومين فلم يفرق بين الطبيعة والاقنوم. ولم يزل يسعى بنشر بدعتهِ بين المصريين على الرغم ممّا

١) راجع في المشرق (٣٣ [١٩٣٥] : ٥١١-٥١٩) مقالة في اثبات انشاء الكنيسة الاسكندريّة على يد القديس مرقس باغراء بطرس الرسول

رُشق بهِ من الحرم في المجمع المسكوني الخلقيدوني فمات في منفاه سنة ٤٥٤ في مدينة جَنْجَرَة من آسية الصغرى. وكان نفث سمّهُ في اهل وطنهِ فطرحهم في مهاوي الضلال

وقام بعد ديوسقورس بطاركة كان ينتخبهم الاكليروس والشعب فجروا على بدعتهِ ما خلا القليل منهم الذين ارتدّوا الى امّهم الكنيسة الكاثوليكية. وفي السنة ١٥٨٢ عُقد مجمعٌ في القاهرة (مِنف القديمة) كاد ان يتمّ فيهِ اتحاد الكنيستين لولا بعض المتعنتين من ذوي الاغراض الشخصيّة الذين لم يزالوا يسعرون نار البغض على الكنيسة الكاثوليكية وينسبون اليها زوراً ما ذاقهُ اجدادهم من النكبات في عهد ملوك الروم يستنيان ويوستين الثاني وغيرهما فيحقدون بسببها على امّهم التي شربوا افاويقها العذبة الصافية

وقد انتصر لديوسقورس يعقوب البرادعي في القرن السادس وعمّق الهاوية التي سقطت فيها الكنيسة الاسكندريّة القبطيّة. وانّا نال بالخبث والدهاء رتبة الاسقفية تجوّل في انحاء الجزيرة والشام ومصر مرتدياً باحقر اللباس متنكّرا محتشة بالصوم ادراكاً لغايتهِ وهو يسمّي الاساقفة وينبز الكاثوليك الخاضعين للمجمع الخلقيدوني بلقب الملكيّين كانهم يتبعون آراء الملوك بينما هم خاضعون للمسيح وحدهُ فعُرفوا منذ ذاك باليعاقبة

ومن غريب امر الاقباط انّ كتبهم الطقسية التي سبقت انفصالهم عن الكنيسة الرومانيّة تشهد على ايمانهم القويم السابق لبدعتهم سواء كان في امر طبيعتي المسيح الالهيّة والانسانيّة ام الاعتراف برئاسة القديس بطرس وخلفائهِ على الكنيسة جمعاء كما ترى ذلك في سنكسارهم يوم عيد القديسين بطرس وبولس

وقد اطّلعنا على كتاب ثاثورهم القبطي وفيهِ وجوب الصلاة لاجل «الكنيسة الكاثوليكية» وانّما ابدلوا في الترجمة العربية كلمة الكاثوليكية بالجامعة وكفى بها ايضاً دليلًا على ضلالهم اذ انّ كنيستهم اليوم من اصغر الكنائس الشرقية

وقد سعت الكنيسة الرومانيّة غير مرّة الى ردّ هؤلاء الضالّين الى الحظيرة البطرسيّة الّا ان العناد قد ضرب على ابصارهم واقرّ بعض بطاركتهم انّ قلوبهم اقسى من الجلمود فلا ينفذ فيها اسطع انوار الحقّ فذهب سدًى عرق ودم المرسلين

الذي تفانوا في تبشيرهم فشبّهوا قساوة قلوبهم بقساوة قلب فرعون(١

وقد اثبت هذا الحكم منذ السنة ١٧٣٠ الاب سيكار اليسوعي فكتب الى احد رصفائه: «ان عناد الاقباط يساوي جهلهم ولا أمل لنا ان نردّهم الى الايمان» وفي القاهرة عدد كبير من نصارى طوائف مختلفة الآن الاقباط اكثرهم عدداً» هذا ما رواهُ الاب سيكار. واما اليوم فقد تغيّرت الامور وبفضل التمدُّن المصري وانتشار المدارس قد تحسّنت كثيراً حالة الاقباط منذ الاحتلال الانكليزي وقد اخذ نفوذ الدين الكاثوليكي يزداد يوماً بعد يوم بين الاخوة المنفصلين لاسيا منذ ثلثين سنة واثنا تعيث فيهم الشيع البروتستانيّة

رؤساء الكنيسة القبطية

هذا نظام للكنيسة القبطية: يرئسها بطريرك يدعونهُ بابا الاسكندرية وهو الانبا كيرلس الخامس يحكم على احد عشر مطراناً اكبرهم مطران القدس ثمّ مطارنة بشبرة وارقنا وبني سويف والمنيا وسنبو واسنه والقصور واسيوط وابوتيج واخميم وخرطوم. وعلى اسقفين في الجيزة ومنفلوط. ولهم اربعة اديرة: دير مار انطونيوس ومار بولس ومحارج وبرموس. وعدد الشعب قريب من ٨٠٠،٠٠٠ يخدمهم نحو ٨٠٠ كاهن في ٤٥٠ كنيسة. ٠٠وكان عدد الاقباط في زمن الفتح الاسلامي كما سبق نحو سبعة ملايين يرعاهم ١٨١ اسقفاً

يختار البطريرك اساقفةُ الطائفة والكهنة واعيان الشعب. ويتحتّم على اختياره ان يكون بتولاً ولذلك لا ينتخبون الّا راهباً. ومن ميزتهِ انهُ هو الـذي يرسل الى الحبشة مطرانهم المدعو «ابونا» كما انهُ يسيم اساقفة طائفته

وكذلك يجب على الاساقفة ان يكونوا بتولين او عائشين بالعزوبة بعد وفاة زوجاتهم ومعظمهم من الرهبان. واليوم يسعى الاكليروس في وضع ناموس جديد يسمح للمتزوّجين بالاسقفيّة. وقد نشر اسقف ابوتيج رسالةً في هذا القصد وقد جرى هو على مذهبه فعدل الى الزواج لولا انّ البطريرك فصلهُ عن كرسيّهِ وحرمهُ

١) راجع اعمال البولنديين في اليوم السابع من حزيران (ص ١٠٦)

الكهنة الاقباط

يُرقى الى الكهنوت عادةً بعض اصحاب الصنائع كالخيّاطين والحيّاكين واكثرهم يأنفون من الكهنوت ليس تواضعاً بل خوفاً من الفقر اذ لا راتب لهم غير القليل الذي يحصلون عليه من رعيّتهم. فاذا مات الكاهن راعي بلدةٍ اقتاد اهلها رجلاً منهم راضياً او مرغوماً الى البطريرك ليسيمهُ كاهناً فيضع عليهِ يديهِ ثمّ يحجزهُ في احدى قلالي البطريركيّة اربعين يوماً ريثما يتعلّم رُتب كنيستهِ وتلاوة القدّاس فيباشر الاسرار وهو لا يعلم شيئاً من معناها ومن التعاليم الدينيّة

انّ حالة الاكليروس بين الاقباط غاية في الانحطاط. اذ يُنظَمون في سلك الكهنوت دون التهذيب والتعليم الواجبين. ولمّا رأوا ما صارت حالة الكهنة الكاثوليك من الرقي حاولوا التشبّه بهم فانشأوا مدرسةً اكليريكيّة قريباً من القاهرة إلّا ان اكثر المتربّين فيها عند نهاية دروسهم يفضّلون طلب المعاش في وظائف الحكومة. ومن ثمّ لا تكاد تجد بين الاقباط المنفصلين كاهناً عالماً يمكنهُ ان يخطب ويرشد وقد التجأوا سدّاً لهذا الخلل الى مبشّرين بروتستانت وبذلك يتلاشى الايمان من قلوب رعاياهم

الاسرار المقدّسة في الكنيسة القبطية

(سرّ العماد) انّ جهل الاكليروس وقلّة اهتمامهِ بحفظ الطقوس قد ادّى بهم الى الخلل بتوزيع الاسرار المقدّسة. فمن ذلك انّ العماد اصبح اليوم على صورة يرتاب العقلاء من صحّتها. فانهم يتلون صلاة المعموديّة بالقبطيّة وهم لا يحسنون معناها فكثيراً ما يمسخون بعض الفاظها الجوهريّة فبدلاً من قولهم: «انا اعمّدك» ‹ϯⲱⲙⲥ ⲙ̀ⲙⲟⲕ› يقولون «انا امسحك» ‹ϯⲑⲱϩⲥ ⲙ̀ⲙⲟⲕ›. وربّما ايضاً يفصلون بين العماد المادّي بالماء وصورتهِ الجوهريّة او يتلونها مرّة واحدة في عماد اطفال كثيرين. وقد حضر يوماً احد تلامذتنا رتبة المعموديّة عند الاقباط فرأى الكاهن يغمس الاولاد في الماء فقط دون تلاوة الصورة الجوهريّة واذ نبّههُ على فعلهِ اجابهُ: اني سأتلوها بعد

وحضر كاثوليكي آخر يوماً رتبة العماد في احدى كنائس الاقباط المشيّدة على

اسم القديس مينا الشهيد قريباً من المنيا وكان الاهلون أتوا بنحو مئة طفل ليعمدهم الكاهن فسأله الكاثوليكي: ما هي صلاة العماد عندكم؟ فاذا هو يجهلها. فعلّمهُ أياها الكاثوليكيّ. مع انّ الكاهن المذكور كان قد تخرَّج في مدرسة الاقباط الكهنوتية

واخبرنا احد كهنة الاقباط المرتدّين الى الكثلكة انّ كهنتهم لا يعمّدون إلّا اذا دفع لهم اهل الولد اجرةً معلومة فبعض اقارب الطفل يكتفون بسماع بعض الصلوات التي تحتوي التعزيم على الشيطان فيأخذون ولدهم قبل عماده بالماء لينجوا من دفع الراتب المفروض

فهذا واشياء كثيرة غيرها جعلتنا في ريب من صحّة المعموديّة عند الاقباط. واذا ارتدّ احد منهم الى الكثلكة عمّدناهُ ثانيةً عماداً شرطياً كما امر المجمع المقدَّس

ولمّا أُقيم السيد يوسف صدفاوي مديراً رسولياً على طائفة الاقباط وصار الاتفاق على تعيين السيد كيرلس مكار كبطريرك عليهم ارسل المجمع المقدّس فسألهُ أتكرّرُ عمادهُ لمّا ارتدّت عائلتهُ الى الكثلكة لئلا تبطل الاسرار اذا منحها بدون معموديّة صحيحة. فاجاب انّ لديهِ شهادة من حضر تكرار عمادهِ شرطياً

﴿سرّ التوبة﴾ والخلل الواقع في سرّ المعموديّة عند الاقباط طارئ ايضاً على سرّ التوبة فانّ المعترفين بخطاياهم الى الكاهن يكتفون باعتراف عمومي دون ذكر الخطايا مفصّلةً لاسيما انهم يخافون من اعلان الكهنة خطاياهم وكشفهم للسرّ كما اختبروا الامر سابقاً. وعليه ترى الكاهن يمنح الحلّة باقصر الزمان. أمّا هو فلا يمارس هذا السرّ لنفسهِ كأنهُ معصوم من الخطأ من يوم كهنوتهِ

﴿سرّ الزواج﴾ وفي سرّ الزواج شائبة أخرى عند الاقباط اعني بها الطلاق فكثيراً ما يسمحون بهِ لمن طلبهُ منهم لاسيما اذا دفع الطالب للاسقف شيئاً من المال. وقد عرفنا في المنيا مطرانها الانبا ياكوبوس فانهُ كان يجيز الطلاق لمن يطلبهُ دون تردُّد. ولذا سألهُ يوماً احد الكاثوليك: ما بالكم تتساهلون في امر الطلاق على خلاف الكاثوليك الذين لم يسمحوا بهِ البتة فاجاب: نحن نتبع كلام الله في العهد العتيق والكاثوليك يتبعون كلامهُ في العهد الجديد وكلاهُ كلام الله — وقد اجاب كاهن قبطي آخر سألهُ كاثوليكي مثل ذلك السؤال: انّ القديس جاورجيوس هو الموحي بالطلاق.

اشار بذلك الى النقود الانكليزيّة المرسومة عليها صورة ذاك الشهيد . وبهِ تحقّق السائل انّ المسألة اصبحت امرًا تجاريًا ليس إلّا

﴿ سرّ الكهنوت ﴾ وان سأل السائل ما رأيكم في كهنوت الاقباط أهو صحيح ؟ اجبنا ان الامر متوقّف على معموديّتهم فان كانت المعموديّة باطلة اصبح الكهنوت باطلًا ايضاً

ثمّ انّ صورة منح سرّ الكهنوت ربّما كان مخلًّا . فانّ بعض الاساقفة بدلًا من وضع الايدي على طالب الكهنوت يجعلون على رأسهُ الصليب . واذ سأل احد الحضور اسقفاً رآهُ صنع ذلك اجاب الاسقف : أليس الصليب اطهر من يديّ !

امّا اضاليل الاقباط فاخصّها كما سبق قولهم بطبيعة واحدة في المسيح على خلاف ما ورد في كتبهم الطقسية . وكذلك ينكرون رئاسة الحبر الروماني على كل الكنيسة وهو خليفة القديس بطرس الذي اقامهُ الربّ هامةً للرسل . وينكر الاقباط وجود المطهر وهم مع ذلك يصلّون للموتى وان قيل لهم في ذلك اجابوا : الصلوات لتعزية الاحياء (كذا)

ذكر بعض عادات يأتيها الاقباط المنفصلون

انّ الاقباط غير الكاثوليك يختنون اولادهم اذا ترعرعوا وهي عادةٌ اخذوها عن المسلمين لكنّهم لا يعلّقون عليها شأنًا دينيًا سواء ألفوها خوفاً من المسلمين او قصدوا بذلك امرًا صحيًا

ومن عاداتهم في بعض الكنائس أنّهم يشيّدون في ساحتها احواضاً يملأونها ماء ويباركها الكاهن فيغمس بها الرجال والاولاد . وهذا ما يصنعونهُ يوم عيد الغطاس اذ يبارك الاسقف نهر النيل فيلقي كثيرون منهم نفوسهم في الماء وذلك في زمهرير الشتاء . والاقباط من اشدّ الناس في حفظ الصوم واصوامهم اربعة : احدها الصوم الكبير يبتدئ قبل صوم الكاثوليك بأسبوع ويدوم الى الفصح وهم في مدّتهِ يمتنعون عن الزفر والبياض والسمك ويكتفون بأكل البقول المطبوخة بالزيت والثار . والصوم الثاني صوم عيد الميلاد يصومهُ كهنة الاقباط ١٣ يوماً والشعب ٢٣ يوماً . والثالث صوم الرسولين بطرس وبولس يدوم ثلثة عشر يوماً . والرابع يسبق عيد

انتقال السيدة الى السماء وطوله ١٥ يوماً. ومن غريب الامور انَّ عدداً وافراً من المسلمين يصومون هذا الصوم الاخير اكراماً لمريم العذراء. ومنذ زمن طويل اصبحت الاصوام الثلثة الاخيرة مقصورة على ضروب الطعام دون الانقطاع عن الأكل. أمَّا القبط الكاثوليك فانَّهم تقرَّبوا في صومهم من عادة الكنيسة اللاتينيَّة كما تعيَّن في مجمعهم الملي الاخير المعقود سنة ١٨٩٨. ولا يزال القبط المنفصلون متشدّدين في امر صيامهم. وقد سمعتُ احد اساقفتهم يقول: «ليس فريضةٌ في الدين الزم من الصوم أفلا ترى انَّ الله لم يأمر آدم وحوّاء بغير سُنَّة الصوم» (كذا). وتشدُّد الاكليروس القبطي في ممارسة الصوم يسوقهم الى رفضهم كلَّ رخصةٍ لرعاياهم في تخفيفه وهذا ما دعا بكثيرين الى جحود دينهم والمروق الى الشيع البروتستانية

والحق يقال انَّ البروتستانت الاميركان والانكليز قد ولجوا في الحظيرة القبطيَّة وبدَّدوا كثيراً من خرافها وادخلوا بين الجمهور روح التساهل الديني دون ان يكترث الاكليروس القبطي لحالة رعاياهم. واذ ألفت العقلاء نظرَ البطريرك الى ابتعاد كثيرين من ابنائه عن كنيستهم اجاب قائلاً: انَّ في البحر اسماكاً كثيرة. فيا للأسف من هؤلاء الصيَّادين الذين لا يلتمسون صيداً ويدَعون سمكهم لسواهم من اعداء كنيستهم

وممَّا يدعو الى الفرح نموّ الكثلكة بين الاقباط. فانَّ عدد الكاثوليك منهم كان سنة ١٨٩٧ اقلّ من خمسة آلاف. وهم اليوم اكثر من ٢٥ الفاً. لمَّا دخل المرسلون اليسوعيون في المنيا كان الكاثوليك سنة ١٨٨٧ سبعين فقط وهم اليوم ١٨٠٠ ومعظمهم من المرتدّين عن الكنيسة اليعقوبية

وكانت مدينة «ابو برجس» القريبة من المنيا خالية من الكاثوليك. فلمَّا اهتمَّ احد المرسلين بفتح مدرسة فيها تغيَّرت حالتها وفيها اليوم مدرستان للاحداث من الجنسين وعدد الكاثوليك ١١٠٠ وكلّهم من الثابتين على الاسرار المقدَّسة

والامل معقود بانتشار الدين الكاثوليكي في الصعيد بهمَّة الكهنة الاقباط الكاثوليك ومساعدة المرسلين. ويا ليت يزيد عدد العملة الرسوليين لحصاد ربّ البيت الذي بلغ اوانه. فما لنا إلَّا ان نطلب من السيد المسيح ان يأتي ملكوته بين اولئك النفوس التي وجدناها مستعدَّة لقبول الزرع الصالح

الدنيا والدين في عام خمسة وعشرين

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

﴿رومية﴾ كانت السنة المنتهية من اسعد السنين للكنيسة المقدَّسة. في يوم عيد ميلاد الرب سنة ١٩٢٤ افتتح البابا بيوس بحفلة جميلة السنة اليوبيليَّة بفتح باب كنيسة الفاتيكان الخاصّ الذي يبقى موصدًا في ما سوى ذلك. وكانت جماهير الزوَّار تنتظر قداسته لتدخل منهُ وتنال من النعم المنوطة بتلك السنة المباركة. ومذ ذاك اليوم الى مثله في السنة المقبلة كانت الالوف المؤلفة تتقاطر الى رومية من كل انحاء المعمور فتحجّ الى ضريحَي القديسين الرسولين بطرس وبولس وتتبرَّك بزيارة اجلّ واعظم كنائس عاصمة العالم الكاثوليكي. وقد أُحصي عدد الزوَّار فاذا هو ينيف على أَلفَي ألف. وكان في جملتهم عدد وافر من غير الكاثوليك الذين عادوا الى اوطانهم والسنتهم تتطرَّب بالثناء على رومية وحبر احبارها الذي لم يأخذهُ ملل في استقبال الوفود ومؤانستهم والقاء الخطب الجليلة على مسامعهم. وممَّا يستحقّ الذكر انَّ كثيرين من الزوَّار قصدوا المدينة المقدَّسة مشاةً ساروا اليها على الاقدام من بلاد شتى كپولونية والمجر وصقلية

وكان الزوَّار بعد اتمامهم فرائض اليوبيل ينتقلون الى حدائق الفاتيكان ليشرحوا خاطرهم بمشاهد معرض الرسالات الكاثوليكية وهناك جُمعت أطراف العالم وعجائب المصنوعات التي يُعنى بعملها المرسلون في سائر الاقطار حتى اقاصي المعمور واسحق البلاد والجزائر والبحار (١

وقد جرت في هذا العام رتب وحفلات عديدة في امّ المدائن الكاثوليكية لا شبيه لها في غيرها. نخصّ بالذكر حفلات تثبيت قدّيسين واعلان اسماء مطوَّبين ازدحمت وفود العالم لحضورها وممن أُعلنت قداستهم خوري أرس الشهير يوحنَّا ڤياناي ويوحنا اود (J. Eudes) منشئ جمعية الاودست العميمة الفضل والقديسة تريزيا الطفل يسوع والقديستان صوفيا بارا (Sophie Barat) ومريم المجدلية پوستل (M.-M. Postel)

١) راجع في العدد السابق من المشرق ك ١ ١٩٢٥ مقالة الاديب يوسف افندي المدوَّر في وصف المعرض المذكور

وكلهم فرنسويون يُضاف اليهم القديس الملفان بطرس كانيزيوس اليسوعي الهولندي رسول المانية في القرن السادس عشر . وممّن أُعلن تطويبهم من الفرنسويين ايضاً برندات سوبيروس الراهبة التي شرّفتها العذراء مريم بظهورها لها في لورد سنة ١٨٥٨ ثمّ شهداء كندا الثمانية اليسوعيّون في القرن السابع عشر و٣٢ راهبة استشهدن في فرنسة سنة ١٧٩٦ بحكم ارباب الثورة الفرنسويّة الجائر لانهنّ لم يرضَين جحود دينهنّ ونذورهن الرهبانيّة فقُتلن في مدينة أورنج . وغير هؤلاء ايضاً كان المجمع المقدّس دقّق النظر مدّة سنين طويلة في سيرة حياتهم وسموّ فضائلهم وكراماتهم والمعجزات التي جرت بشفاعتهم

وغاية ما يقال انّ يوبيل العام المنصرم انشأ في النفوس غيرة جديدة وبعث فيها روح التقوى والعبادة . وكان سبباً لارتداد كثيرين الى جادّة الصلاح

﴿فرنسة﴾ كانت شؤون فرنسة السياسيّة في العام الماضي في اضطراب . فان الحزب الاشتراكي الضابط السلطة مع المسيو هيريو لم يقُم بالمواعيد التي خدع بها منتخبيه ليقلب وزارة ميلران ووزارة بوانكره . بل زادت احوال الدولة الماليّة والاقتصاديّة انحطاطاً . وكان في الوقت ذاته يُصلي الكثلكة حرباً عواناً وهو مدفوع الى تطرّفه الكفري من الماسونيّة واعداء الدين . وكان مع هذا يزكّي المجرمين وينال لهم من محازبيه الصفح عن خياناتهم نحو الوطن ويعهد اليهم بالمناصب الرفيعة . فما لبث ان انكشف خداعه فسقط وقامت بعده في اواسط شهر نيسان وزارة بانلفه (M. Painlevé) فلم تستتمّ الّا بخمسة اشهر وهي من الحزب الاشتراكي كوزارة هيريو وان كانت اكثر اعتدالاً . فصارت ازمّة الدولة في ايدي ارستيد بريان . وبه بلغ عدد الوزارات في فرنسة ٦٦ وزارةً منذ قيامة الجمهوريّة الثالثة سنة ١٨٧١ وحتى الآن لم يجد ارباب الدولة الدواء الناجع لعودة السلام واصلاح الاحوال . فضلاً عمّا يهبط عواتق فرنسة من الديون الباهظة

أمّا شؤون فرنسة الدينيّة فكانت على خلاف ذلك تشعر بنهضة جديدة . فان مجاهرة هريو وحزبه بمعاداة الدين ومناهضة الكاثوليك وتنفيذ الشرائع الجائرة في حقّهم أدّى الى خلاف ما أمّله اشياع الكفر والجور . فقامت فرنسة الكاثوليكية في كلّ انحاء البلاد ملبّية الى اصوات عموم كرادلتها واساقفتها وكبار زعمائها كالجنرال

كستلنو ومندوب معاملة جيرُنـد الكاهن برجي (Bergey) وجريح الحرب الاب اليسوعي دونكور (Doncœur) فتقاطرت الجماهير من ٢٠ الى ٣٠ الى ٥٠ و٨٠ الفاً في معظم حواضر فرنسة ليسمعوا اساقفتهم وخطباءهم ويحتجوا معهم على المعاملات الجائرة والشرائع الظالمة التي تخصُّ بها الكاثوليك وهم تسعة اعشار الفرنسويين فشكّلوا الدوائر واللجنات لتنظيم قواهم وألّفوا الجمعيات لتوحيد كلمتهم والدفاع عن حقوقهم وبلغ اصحابُ الكتيبة اربابَ الدولة التقارير التي اتّخذوها بإزاء معاديهم فيدافعون عنها اذا اقتضى الامر حتى بالقوّة المادّية ريثما تُلغى السُّنن الجائرة ويعطى الكاثوليك الحرّية التامّة في كل امورهم الروحية والادبيّة والسياسيّة. فكانت نتيجة هذه المظاهرات ان الحكومة عدلت نوعاً عن سياسة هيريو وأبقت السفارة لدى الفاتيكان التي طلب هيريو الغاءها وطمّنت سكان الزاس ولورين بخصوص حريتهم الدينيّة التي تهدّدها الاشتراكيّون وتوقّفوا عن مناهضة الرهبانيّات. والامل معقود ان الكاثوليك لا يكفّون من الدفاع الى ان ينالوا سائر حقوقهم المهضومة

وفي هذه السنة احتفلت الكليّات الجامعة الكاثوليكية في باريس وليون وتولوز وليل وأنجه بيوبيلها الذهبي. فما رُخص للكاثوليك انشاء الجامعات سنة ١٨٧٥ حتى اسرعوا فتحوها وجهّزوها بكل ما تحتاج اليه في تنظيمها ولم يدّخروا شيئاً من اموالهم واتعابهم واستدعوا لها احذق المعلمين. فما مضى عليها القليل حتى قام الفرمسون ومشايعوهم في مجلس العموم والشيوخ وتحاملوا على تلك الجامعات فاستردّوا قسمة من حريتها في منح الاجازات. وعلى الرغم من ذلك لم تزل الكليّات المذكورة في تقدّم متواصل. وفي الحفلات التي عُقدت في هذا العام بيَّن الاساقفة وبلغاء الخطباء ما أدّته تلك الجامعات من الخدم الجليلة لسائر العلوم الدينيّة والادبيّة والرياضيّة والفلكيّة والطبيّة بهمّة بعض اساتذتها بينهم نوابغ الرجال كالاستاذ برَنْدي وغيره.

وممّا اهتمَّ له الاكليروس الفرنسوي امرُ الدعوات الكهنوتية التي أُصيبت بضربة مؤلمة بسبب الحرب الكونيّة اذ قُتل في ساحة الشرف كثيرون من الكهنة وقلَّ عدد طلبة الكهنوت فاصبحت عدّة اماكن محتاجة الى مَن يقوم برعايتها الدينيّة. فطلبوا دواء لهذا الداء عساهُ يكون شافياً

وامتازت فرنسة بعدد زوّارها لرومية العظمى في سنة اليوبيل فقد الّف عـدد

من حجّ اليها على ثلثين الفاً وتنظّمت لذلك نحو خمسين قافلة تتألف كلٌّ واحدةٍ من بضع مئات. وكان الزوّار يجاهرون بتقواهم وشرائعهم الدينيّة حيثما ساروا

وقد أُصيبت فرنسة في هذه السنة على فقدان بعض اعيانها ديناً ودنيا منهم الجنرال مَنجان المتوفى في ١٢ أيار ١٩٢٥ وقد امتاز في كل ما تولّاهُ من الاعمال الشريفة في خدمة وطنه منذ كان في افريقية كرفيق الكشافة مَرشان في فاشودا(١٨٩٦ـــ١٨٩٩) واليهِ يعود الفضل في تخليص مراكش سنة ١٩١٢. وكان في الحرب الكونية بطلاً مغواراً ومن اكبر المساعدين في الانتصار النهائي على الالمان. وكان ايضاً من الكتبة البارعين جازاهُ المجمع العلمي في فرنسة باكبر جوائزهِ في ١١ حزيران ١٩٢٥. وكان منجان من اعرق مواطنيهِ بالدين لا يأخذهُ في ممارسة واجباتهِ لومة لائم

وتوفي قبلهُ في ١٦ ك٢ جنرال آخر لنزاك (Lanrezac) من كبار القوّاد كان حارب الالمان سنة ١٨٧١ فرُقّي الى رتبة ضابط ولم يزل يترقّى في مناصب العسكريّة. وكان من الممتازين بالآداب الحربية اظهر براعتهُ في الحرب الكونيّة اذ تحاملت عليه كل قوّات العدوّ في شرلرْوا فردَّ جيشهُ سالماً الى جهات نهر مَرْن. وقد شرّفتهُ الحكومة بوسام صليب جوقة الشرف سنة ١٩٢٤

وخسرت فرنسة من علمائها الكاهن العالم بطرس روسلو (P. Rousselot) كما اشرنا اليهِ سابقاً وهو مخترع فنّ درس الاصوات وخواصها وتميز نبراتها وقد نفعت اكتشافاتهُ وطنهُ فاستفادوا منها في الحرب لتعريف مواقع الغوّاصات والبطاريّات

ومن علماء فرنسة الطبيعيين كميل فلامّاريون (C. Flammarion) توفي في ٤ حزيران ١٩٢٥ كان من كبار الفلكيين وقد صنَّف كتباً كثيرة في تعميم العلوم الطبيعية والفلكية. وانّما يؤخذ عليهِ ترويج مزاعم باطلة في امور الحياة الآخرة فنّدها العلماء الاعلام وزيّفوها

وكان مثلهُ تطرُّفاً كاتب آخر قضى قبلهُ في ت ٢ ١٩٢٤ نريد بهِ اناطول فرنس. اشتهر بفنون الكتابة لولا انهُ نفث في تآليفهِ روح الكفر وذلك اساس الآداب فاصبحت تآليفه عثرة في سبيل الناشئة

وقد سُررنا بانتخاب لويس برتران كعضو في الاكاديمية الفرنسويّة في مكان المرحوم موريس بارّس وهو من الكتبة المتقنين مثلهُ لكنهُ يفضلهُ بتديّنهِ وشدّة

ايمانهِ . وقد زار الشرق غير مرَّة وكتب عنهُ الفصول الشائقة . وله وصف بديع لبيروت وخصَّ بثنائهِ كليتنا الجامعة

﴿ايطالية﴾ قد تغيَّرت احوال ايطالية منذ قام موسوليني وانشأ حزبهُ الفاشستي فانهُ أدَّى لوطنهِ خدماً ستبقي له ذكرًا مخلَّدًا لاسيما منذ نشب الحرب الماسونيَّة فضغط على رؤسائها واقفل محافلها واوقف مشايعيها وطردهم من الجنديَّة ومن وظائف الدولة فنقم عليهِ الماسون . وسعوا في هذه السنة الى قتلهِ فاطَّلع على دسائسهم وزجَّ في ظلمات السجن الجنرال زانيبوني ولويجي كابلو المتآمرَين على قتلهِ

فزادت بذلك شهرة موسوليني وتعلُّق مواطنيهِ بهِ . والحقَّ يقال انهُ استحقَّ شكرهم بما نالوهُ عن يدهِ من امان وراحة ورقيّ . فبفضلهِ تحسَّنت احوال التجارة والصناعة . فانَّ صادرات ايطالية كانت في العام السابق اربعة مليارات و ٨١ مليونًا فبلغت في العام الاخير ستة مليارات بنيف . وزادت ارباح السكك الحديدية عشرين في المئة . وقد أزال ما كان من النزاع بين ارباب الصنائع والعَمَلة بحكم عادل . وقد وجدت الكثلكة فيهِ صديقًا وحميًا لاسيما في اتخاذ الوسائل الكافلة براحة زوَّار رومية في اليوبيل . وهو اليوم يفكر في تنصيب الملك امبراطورًا لتقوى بهِ الدولة

ومما ساعد على تحسين احوال ايطالية ما نالهُ موسوليني بسياستهِ الحكيمة لدى اميركا من التسامح ببعض ديونها على ايطالية وتسهيلات ممنوحة لها في دفع الديون الباقية تمكن احد علماء ايطالية من النزول الى قعر البحرين المتوسط والادرياتيكي واوقد هناك مصباحاً كهربائيًا تبلغ قوَّة نورهِ ٣٠٠،٠٠٠ شمعة واستطاع بذلك ان يأخذ صور الاسماك الغريبة التي تعيش في تلك الاعماق البعيدة وعرض صورها على الرئيس موسوليني في السينما

﴿اسبانية﴾ لا تزال متعلقة بملكها الفونس لا يُستثنى من اهلها في ذلك إلَّا بعض الشيوعيين والفرمسون على مألوف عادتهم في اثارة الفتن . وقد كرَّروا في هذا العام المظاهرات المعربة عن امانتهم وحبهم لملكهم . وقد تحسَّنت امور الدولة الداخليَّة منذ عُهِد تدبير الامور الى بريمو دي ريفيرا فانهُ بتشدُّدهِ على محبي الثورات اعاد للبلاد الراحة والامان . وقد اكتشف الشُّرَط في هذا العام مؤامرة تولَّاها بعض الضبَّاط الماسونيين في برشلونة لقلب السلطة المالكة واعلان الجمهوريَّة ففشل اصحابُها وأُلقي عليهم القبض

وكانت اسبانية في اوائل هذا العام قلقة بسبب حربها في مراكش فانَّ جيوشها اضطرَّت الى اخلاء المدن الداخلية التي كانت استولت عليها منذ السنة ١٩١٢ فلم يبق لها غير المدن الساحلية الريفية. وكان زعيم القبائل الاسلامية هناك عبد الكريم ينوي ضبط ما بقي لها في السواحل. واخذ كذلك يغير بجنوده على الاراضي التي احتلها الفرنسويون واتسعت الثورة واستفحل الامر ولم تخمد نار الحرب الّا بعد وقائع عديدة ولاسيما بعد اتحاد الجيوش الاسبانية والجيوش الفرنسوية فاضطر العدوّ الى طلب الصلح في اوائل كانون الاول

《بريطانية العظمى》لها اليوم التفوّق على الدول بنفوذ سياستها وقوّاتها البحرية وعدد مستعمراتها في كل اطراف العالم. وقد اضافت اليها في غرة أيار ١٩٢٥ مستعمرة قبرس التي كانت منذ السنة ١٨٧٨ باسطة فقط عليها حمايتها

وبعد سقوط وزارة مكدونلد زعيم حزب العمال ورجوع الحزب المحافظ الذي يرئسهُ بلدوين اخذ المحافظون حذرهم من الشيوعيَّة والبولشفيَّة التي تهدّد انكلترة كبقيَّة الدول. وقد اكتشفوا رسالةً سرّيةً لاحد رؤساء السوفيات زينوفياف يُعلن فيها ما ينويهِ البولشفيون لقلب السلطة المالكة في بريطانية العظمى كانت نتيجتها قطع العلاقات مع لينينغراد

ولا تزال مسألة العمال واعتصاباتهم تشغل بال الدولة فان عدد العملة الذين كانوا خالين من الشغل يبلغ في تموز الى ١،٣٠٠،٠٠٠ عامل فهذا مشكل لا بدّ من حلّ عقدتهِ

ان قتل السردار «لي ستيك» في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ استدعى استئنافاً لضغط انكلترة على مصر وقد وقفت في هذه السنة على القتلة وحكمت عليهم بالاعدام. وقد ساعدت على مناهضة حزب زغلول باشا وزارة احمد باشا زيور المعتدلة. غير انَّ الناشئة الجديدة باغراء بعض المتطرّفين لا يريدون ان يخلدوا الى الهدؤ فيزيدون احوال الدولة ارتباكاً وبدلاً من الاستقلال التام الذي يطلبونهُ يعرّضون بوطنهم الى فقدان حرّيتهِ الحاضرة بوضع انكلترة يدها على مصر. وقد ارسلت مؤخَّراً كمفوّضها في قطر النيل لويد جورج السياسي الداهية

قد تعدَّدت القلاقل بين فرنسة وانكلترة لاسباب يغلب عليها سوء تفاهم

واختلاف نظر مع شيء. من الاعمال الدالّة على تطرّف الانكليز فحصل من جرّائها نفور بين ساسة الامور في فرنسة. وانّما انقشعت تلك الغيوم بعد معاهدة لوكارنو ومواجهة بريان لارباب الدولة البريطانيّة. وكذلك وقع اتّفاق بين الدولتين في امور سوريّة لايقاف الحركة الدرزيّة

وفي العام الماضي فقدت انكلترة بعض كبار دولتها. فتوفي في لندن في ٢٠ آذار اللورد كرزون السياسي الشهير الذي كان في زمن الحرب متوليّاً تدبير الطيران والحرب الجوّيّة ثمّ صار وزيراً للخارجية. وكل يعرف نفوذه في جمعية الامم في لوزان ومبالغته في تغليب سياسة وطنه

وفي ٧ أيار حلّ الاجل بالاميرال ستوردي (A. Sturdee) وهو الذي انتصر على الاسطول الالماني في جزائر فلكلند في ٨ ك١ سنة ١٩١٤

وفي ٢٢ من الشهر كانت وفاة المرشال فرنش الذي شرّف دولته في الحرب الكونيّة فحارب ببسالة في وقائع المرن واشتهر خصوصاً في واقعة فلندر بمساعدة المرشال فوش فنال من دولته لقب «كونت ايبر» ثمّ تعيّن بعد الحرب كاتب الملك في ايرلندة

وفي هذه السنة عينها توفيت الكسندرة ملكة انكلترة سابقاً ارملة ادوار السابع ووالدة الملك جورج ولها من العمر ٨١ سنة وكانت في آخر عمرها منقطعة الى عمل الخير. وكانت مع كونها بروتستانية المذهب متعبدة للعذراء مريم وقد قصدت مرّتين معبد لورد لتطلب اوّل مرّة شفاء ابنها الملك ادورد واذ نالت طلبها قصدته ثانية لتشكر العذراء على شفائهِ ونصبت ذكراً لتلك النعمة صفيحة جميلة تعرب عن شكرها

امّا ﴿ايرلندة﴾ فتنعّمت في العام المنصرم ببركة السلام منذ تعيّن كرئيس جمهوريتها السيد كوسغراف (M. Cosgrave) فانّهُ بحكمتهِ نجّي بلادهُ من الفوضى. والرئيس المذكور في عزّ كهولتهِ وهو رجل زكي نشيط يتلهّب غيرة لنجاح وطنهِ وبيّنه شيّد عشرة آلاف بيت ممّا كان استولى عليهِ الخراب. وسعى بتجهيز مراكب تجارية لدولتهِ وفي الربيع من السنة ذهب الى رومية للزيارة اليوبيليّة مع قرينتهِ يصحبها ٨٠٠ من الايرلنديين. وممّا يشهد لهُ بالتقوى ما طلب من مجلس الأمّة ان تفتتح كل الجلسات بصلاةٍ علنيّة فصدّق الجميع على طلبهِ

(لهُ صلة)

الآداب العربيَّة في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

الآداب العربيَّة من ١٩٠٨–١٩١٨

الباب الثاني

نظر في الآداب العربية في هذه الحقبة

هي الحقبة الثانية من الاداب العربية في هذا الربع الاوَّل من القرن العشرين وهي تتناول عشر سنوات اوَّلها اعلان الدولة التركية بالدستور وآخرها ختام الحرب الكونيَّة

وما يقال عنها اجمالًا أنَّها ابتدأت بالفرح ولم يلبث ان عقبها الحزن والشقاء. فتأثرت بها الآداب العربية وجمعت بين المتناقضَين. فكان صدى الافراح والاحزان يُسْمَع متناوبًا في صرير الاقلام المعربة عن عواطف القلوب

أُعلن بالدستور العثماني بعد فوز الحزب العسكريّ في الاستانة في ٢٤ تموز ١٩٠٨ فكان لهذا النبأ فرحٌ شمل عموم الرعايا في تركية واستبشر به الجميع خيرًا وشعر الناس كأنَّ حملًا باهظًا سقط من كواهلهم او حُلَّت عنهم ربقة الاستعباد وكُسِرت اغلال أسرهم. فانطلقت الالسنة بالمديح وشُحذت الاذهان بالقريض فضاقت صفحات الجرائد عن استيعاب ما تُنتج به القرائح من الفصول الشائقة والقصائد الرنّانة الرائعة

وما لبثت الجرائد المصريَّة والغربية والاميركيَّة من مسلمين ودروز ونصارى تضرب على الوتر عينه فتارةً تطرى الحرّية وتمجّد المساواة والاخاء. وتارة تملق بسهام حادَّة تركية وسلطانها المستبدّ وحينًا ترفع الى السحاب نيازي وانور وطلعت وجمالًا وتُسكر بمحامد تركية الفتاة لاسيا بعد ان اضطرَّت عبد الحميد الى النزول عن عرشه مخلوعًا ومنفيًّا الى سالونيك

على انَّ هذه الافراح لم تلبث ان تُرنَّق صفاوها إذ ظهر للفرحين من استبداد كان شرًّا من الاستبداد الحميدي بتطرُّف ضابطي ازمَّة الامور من جمعيَّة الاتحاد والترقي اذ تحاملوا على مَن لم ينحزْ الى رأيهم فرفعوا البعض منهم على الاعواد واذاقوا

تيوهم ضروب العذابات التي اعتادها هيج الشعوب. فكفّت تلك الكتابات عن ترميدها وتطبيلها وغيّرت لهجتها نوعاً إلّا انها خوفاً من عتاب الحزب المتولي في دولة لم يجسروا ان يملئوا بأمجو

ثمّ زادت الاحوال حرجاً بمكايد جمعيّة الاتحاد والترقي وتقلّبت الوزارات وتعدّدت الاحزاب وبلغت امور الدولة التركية منتهاها من الاضطراب بحربَيْها مع ايطالية سنة ١٩١١ــ١٩١٢ ومع الدول البلقانيّة سنة ١٩١٢ ــ ١٩١٣ ففقدت آخر ولاياتها في افريقية طرابلس الغرب وكادت الدول البلقانيّة تأتي على ولاياتها الاوربية لولا ما وقع بينها من النزاع. فوجدت هذه الاحوال كتبةً وشعراء طنطنوا بمآثر تركيّة وبالتشنيع على اعدائها الايطاليين والبلغار

وكانت ثالثة الاثافي الحرب الكونيّة التي انحازت فيها تركية الى الدول المركزيّة مدفوعةً الى تحزّبها بمواعيد ألمانية المرقوبية وبمطامع بعض زعمائها الساعين وراء مصالحهم الخاصّة فكان ما كان بكسرة ألمانية والمحاربين في جانبها فخرجت منها تركيّة مذلّلةً خاسرة

امّا الآداب العربيّة في مدّة تلك الفوضى فانّها كاد يُقضى عليها بمصادرة الجمعيّات العربية وشتّ بعض اصحابها واقفال المدارس ومناصرة اللغة التركية وتعطيل معظم الجرائد الوطنيّة والمطابع الاجنبيّة والحرّة في انحاء دولة الاتراك في بيروت ولبنان وفلسطين وانحاء الشام والعراق. امّا في الخارج في مصرَ واميركا فانّ النهضة العربية بقيت على حالتها إلّا انها لم ترتقِ لانقطاع معاملاتها مع بلاد الشرق التي منها تستمدّ كثيراً من موادّ حياتها وبانشغالها بامور الحرب واطوارها

امّا اوربة فانّ غيرة علمائها في درس العلوم الشرقيّة عموماً والعربية خصوصاً لم تخمد فانها من السنة ١٩٠٨ الى السنة ١٩١٠ ثبتت على خطتها من النموّ والنجاح كما تشهد عليها مؤتمرات المستشرقين الدولية سنويا والعدد العديد من المطبوعات الجديدة التي نشروها ومن الآثار القديمة التي وقفوا عليها. وانّما تأثّرت ايضاً بالحرب العمومية لفقدانها عدّة من المستشرقين الذين هجروا الدروس ليدافعوا مع مواطنيهم في ساحات الحرب من حرمة بلادهم

ومع ما رأيت من نكبة الآداب العربية في هذه الحقبة لا بُدّ من الاعتراف

بهمّة الحكومة المصريّة في تحسين مدارسها الوطنية وسعيها في زيادة مصاريف برنامجها لتعميم المدارس ولانشاء مدارس عليا وجامعة وطنية تلقى فيها الدروس العليّة الخاصّة ينتدب اليها اساتذة يأتون من الوطنيين والاجانب. وهذه الجامعة المصريّة تقوم بثلثة اقسام كبيرة وهي كليّة الآداب تشمل الآداب العربية وعلم مقارنة اللغات السامية وتاريخ الشرق القديم وتاريخ الامم الاسلامية والفلسفة العربية. ثمّ قسم العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة ثمّ كليّة السيدات وكان شروع الجامعة بهذه العلوم السنة ١٩١٠

وكانت الجامعتان البيروتيّتان الاميركيّة والفرنسويّة زادتا ترقّياً واتساعاً في هذه الحقبة الثانية ففي السنة ١٩٠٦ اضافت الكليّة الاميركيّة الى مدرستها الطبيّة ثلثة مستشفيات للنساء وللاطفال ولامراض العيون. وانشأت في السنة ١٩١٠ مجلتها «الكليّة» في العربيّة والانكليزيّة. اما الكليّة اليسوعية فأنشئت معاهد جديدة فسيحة لمدرستها الطبيّة قريباً من رأس النبع على طريق الشام صار تدشينها برونق عظيم في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٢ ثمّ فتحت برتبة فخمة في ٢١ من الشهر في العام التالي. اما معاهدها القديمة فخُصّصت بفرع جديد من الدروس العليا اعني مدرسة الحقوق التي أنشئت سنة ١٩١٣ وغايتها ان تجدّد مفاخر مدرسة الحقوق الرومانيّة التي اكسبت بيروت مدة ثلثمائة سنة مجداً مؤثّلا اوقفته نكبات الزلازل التي هدمت المدينة في القرن السادس للمسيح. وفي تلك الاثناء أنشئت للمسلمين في دمشق مدرسة طبيّة وفي بيروت مدرسة حقوقيّة كان التعليم فيها باللغة العربية

ومما أنشئ من المجلات النفيسة قبل الحرب مجلة المقتبس سنة ١٣٢٤ لصاحبها السيد محمد كرد علي في دمشق. ومجلة الآثار في زحلة سنة ١٩١١ انشأها عيسى افندي اسكندر المعلوف. والنبراس لصاحبها مصطفى افندي الغلاييني سنة ١٣٢٧ والكوثر للسيد القباني وكلتاهما في بيروت. وانشأ ايضاً في بيروت الايوان يوسف علوان اللعازري ويعقوب الكبوشي مجلتي الجامعة وصديق العائلة. والقس يوسف الشدياق الانطونياني نشر في بعبدا سنة ١٩١١ كوكب البرية. والعرفان لصاحبها احمد افندي عارف زين الدين في صيداء سنة ١٣٥٨ اما في مصر فتعددت المجلات المستحدثة نخصّ منها بالذكر مجلة الزهور للشيخ انطون افندي الجميّل (١٩١٠) والمرآة لخليل افندي زينيه (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Mgr Pichenot: Les Paraboles évangéliques, instructions et homélies, 3e éd., 1925, *Prix* 10 f.

ارشادات من الامثال الانجيلية

انّ امثال السيد المسيح في الانجيل الطاهر من افضل التعاليم الروحية لاسيّما اذا حاول الخطباء بَسْطها وتفسيرها. وهذا ما صنعهُ السيد بيشنو لرعاياه في كنيسة سَنْس (Sens) الكاتدرائية فان خطبهُ من ابلغ ما كُتب في شرح تلك الامثال. ولا عجب أن تكرَّر مرارًا طبعُها. فنوصي الكهنة بمطالعتها والاستفادة منها لارشاد ابنائهم

P. TÉQUI, Libraire-éditeur, 82, rue Bonaparte, Paris, VIe *et* Beyrouth, Librairie Chébab, rue des Martyrs. = I **A. Brou** : Le Dix-huitième siècle littéraire. I. Avant l'Encyclopédie, 1 *vol.* 1923, *Prix* 7 f, 50 = II **Chanoines Chaumont, Pangaud et Marullaz**: Ce que c'est que la Société des Prêtres de St François de Sales, *Prix* 2 f 50 = III **Thirriet**: (Ch.) Almanach de la Bonne Nouvelle (1926), Prix 1 f, 60

آداب القرن الثامن عشر. جمعية كهنة القديس فرنسيس دي سال. تقويم للسنة ١٩٢٦

(الكتاب الاوّل) تعدَّدت التآليف في تعريف ما انتجته اقلام الكتبة الفرنسويين في القرن الثامن عشر. وليست غاية هذا التأليف القيام مقامها وانّما غايتهُ جمع اعمال ذلك العصر في دائرة واحدة تمكن القرّاء بنظر واحد من الاطّلاع على سائر تلك المصنّفات وغاية مؤلّفيها وطرائقهم الكتابية ونزعاتهم الدينية. وهذا القسم يبحث عن آداب ذلك القرن قبل دائرة معارف الاباحيين (Encyclopédie) وسيتبعهُ قريباً جزء ثانٍ لتعريف تلك الدائرة العلميّة التي تولّى نشرها فولتير واتخذها كسلاح لمحاربة كل العقائد النصرانيّة. وكفى باسم مؤلّف هذا الكتاب للدلالة على عظم شأنهِ. و(الكتاب الثاني) يصف للجمهور جماعةً جديدة انشئت لصالح الكهنوت وهي جمعيّة كهنة القديس فرنسيس دي سال. يبيّن غَرَضها مُنشئها القانونيّ شومون واثنان من اعضائها الايران مانغه وماورلاز فنعدوتنا عن تقويم انشائها ونظامها وفوائدها لمن ينتظم فيها من

الكهنة لتقديس نفوسهم ونفوس القريب وهي تستقي تعاليمها من القديس فرنسيس دي سال شفيعها. وفي آخر الكتاب وصف جمعية أخرى أُنشئت للمسيحيين البسطاء من اهل العالم ليقدّسوا حياتهم في اشغالهم اليومية تدعى Société des Fils de St Fr. de Sales). و(الكتاب الثالث) تقويمٌ جديد يُدعى «تقويم البشرى» هذه سنتهُ الخامسة راج ايَّ رواج في العيال المسيحية لوفرة اخبارهِ وتعاليمهِ وحِكَمهِ وفكاهاتهِ فنوصي قرّاءنا بمطالعتهِ
ل. ش

Mardrus Dr J. C. : Le Koran, traduction littérale et complète des Sourates essentielles. 1 vol. *in-8°*, 1925, *Paris, Eugène Fasquelle*.

ترجمة افرنسيَّة حرفية لاخصّ سُوَر القرآن بقلم الدكتور مردروس

هذا تأليف يستدعي انتقاداً صارماً. اقتصر المؤلف على ترجمة ما يدعوهُ «السُّوَر الجوهريَّة في القرآن» كأنهُ يعتبر سواها «كسُوَر عرضيَّة» وجدنا له في مقدّمتهِ اغلاطاً جمَّة فانهُ يزعم ان عمر بن الخطّاب كان من اقارب ابي بكر ويخلط بين زيد بن حارثة ربيب محمَّد» و«زيد بن ثابت» (ص١٣). يدَّعي انَّ كتابة نمارة الشهيرة الراقية الى السنة ٣٢٨ للمسيح والتي وُجدت في الشام في بادية الصفا شرقي جبل الدروز «اكتُشفت في الحجاز» (كذا ص١٧). وقد استغربنا طريقتهُ في الترجمة ضمّنها الفاظاً وحشيَّة مماتة وربَّما كانت مخالفة للمعنى حتى فكّرنا انَّ للمؤلف كاد يمسخ القرآن. ودونك امثلة تشهد على قولنا. ترجم لفظة «سبحانك» بـ«ta laude» و«يا بُنيّ» بـ«ô fils mien» و«ربَّنا» بـ«Seigneur nôtre» و«اقيموا الصلاة» بـ«élevez la prière» و«ابناء السبيل» بـ«enfants de la route» و«أسلمتُ» بـ«je m'affide» و«عروة وثقى» بـ«anse solidissime». وقد ترجم في سورة البقرة (٢: ٢٥١) «اقتتلوا» بـ«ils se sont disputés» والصواب «ils se sont entre-tués». والغرائب في هذه الترجمة لا تُحصى كقولهِ: «o nuages missionnaires» وقولهِ: (sic p. 386) «édit sultanien» وترجم «الكافرون هم الظالمون» (البقرة ٢: ٢٥٥) بـ«les mécréants seront leurs propres intercesseurs» (p. 29) فنكتفي بهذه الامثلة لتعريف تلك الترجمة التي زعم صاحبها انهُ باشرها بإغراء الوزارة الخارجية ووزارة المعارف. على انَّ اشارتنا لرقيّ الدروس الشرقيَّة في فرنسة لا

يسمح لنا بتصديق قوله ولعلَّهُ يؤهُ قريباً الاب هـ. لامنس

Voyage en Turquie et en Grèce du R. P. Robert de Dreux (1665-1669) publié et annoté par H. Pernot. (Collection de l'Inst. néohellénique, fasc. 3), 1 *vol.*, *Paris*, *Prix* 10 *f*s

رحلة الاب روبير دي درو الى تركيَّة واليونان

الاب روبير دي درو راهب كبوشي سار في خدمة السفير الفرنسوي دي لاهاي فنتلي (de la Haye Vantelet) وهو من اقاربهِ لمَّا ارسلهُ ملك فرنسة لويس الرابع عشر الى تركية سنة ١٦٦٥ فتجوَّل معهُ في الاستانة وفي ازمير وجزائر اليونان وعاصمتهم اثينا مدَّة ثلث سنوات. فلما عاد الى فرنسة دوَّن مذكَّراتهِ في كتاب رحلتهِ فبقي تأليفهُ مخطوطاً الى زمننا فاحبَّ المسيو برنوان يخرجهُ من دفينتهِ فطبعهُ وحشاه بقلمهِ. فقد تصفَّحنا الكتاب فوجدناهُ مطابقاً لما ورد في تواريخ معاصريهِ من البلاد التي زارها . وهو يكتب بلغةٍ فصيحة رائقة يجمع فيها بين اللذَّة والافادة فنشكرنا الذي اتحفنا بنشر هذا الاثر الجديد ج. ل

O. Bernhard : Pflanzenbilder auf griechischen und roemischen Münzen. *Gr. in-4°*, 43 *p. et* 131 *monnaies en* 5 *planches*, *Zurich*, *Orell Füssli*, 1925, *Prix broché*, 4 *fs. suisses*, *relié* 5 *f*s.

تصاوير النباتات على النقود اليونانيَّة والرومانيَّة

الدكتور برنهرد صهرُ عالمٍ حاذق بمعرفة النقود القديمة يدعى إمهوف بلومر الذي بعد وفاتهِ اورثهُ مجموعة ثمينة من النقود اليونانيَّة والرومانيَّة التي كان سعى الى احرازها مع مجموعة ثانية من رسوم صنابية مصونة في وطنهِ وِنترتور . فقد أمعن الدكتور النظر في هذين المجموعين ودرسها درساً تمكنا ليعرف ما ورد فيهما من تصاوير النباتات التي قصدها اليونان والرومان في ضروب نقودهم . وليس تعريف النباتات والاشجار وزهورها واثمارها الموسومة على تلك النقود بامر سهل لكنَّ تعيينها لا يخلو من الفائدة . فانَّ بعضها رموز ناطقة تشير الى اسماء البلاد اليونانيَّة كالوردة لرودس والتفَّاحة لميلوس . ومنها ما يدلُّ على عبادة سكَّان بعض الامكنة كالسنديان رمز زفس اي جوبيتير وكالسنبلة والخشخاش رمز الوريس . وعلى نقود قيرينة رسم نبات طيّان السلفيوم والمِيمة قيمتا ببيعها فرسمها على نقود المدينتين كان شبيهاً باعلان .

والدكتور برنهرد نشر خمس لوحات من هذه النقود تحتوي ١٣١ نقدًا سعى الى وصف كل منها واتّسع في بيان ما يُرى عليها من النبات. ومما بيّنهُ ان شجرة الصبّار الشائعة اليوم في شمالي افريقية وفي آسية حديثةُ العهد هناك واصلها من اميركة وان شجرة الليمون نُقلت الى الشام في زمن فتوحات الاسكندر. وقد تعجّبنا من سكوت الدكتور عن صور النخل والسرو المرسومة على نقود صور وارواد وكذلك ببعض النباتات التي تُرى على نقود فينيقية

الاب رينه موتَرد

Buch der Rechtskniffe des Abu Hàtim al-Qazuini mit Uebersetsung u. Anmerkungen, herausg. von. J. Schacht, *in*-12, *Hannover* 1924, *pp.* 79 + ٦٠

كتاب الحِيَل في الفقه لابي حاتم القزويني

انّ في الفقه الاسلامي فنًّا يدعى فنّ الحِيَل الغايةُ منه معرفة المخارج الدافعة للمطالبات في الدعاوي الشرعيّة على مثال ما يدعوهُ اللاهوتيّون المسيحيون علم الفتاوى (Casuistique) والمسلمون يقسمونها الى محرّمة ومكروهة ومباحة. وهذا كتاب من هذا الصنف لاحد الفقهاء الشافعيين ابي حاتم القزوينيّ من كتبة القرن الثاني عشر للهجرة نشرهُ في العام الماضي الدكتور يوسف شخت ونقلهُ الى الالمانيّة وذيّلهُ بالحواشي. وكان سبق في العام ١٩٢٣ فنشر كتاباً آخر اقدم منهُ زمناً واعظم شأناً يدعى الحِيَل والمخارج للامام ابي بكر احمد الحنفي الشهير بالخصّاف فنال بنشره رتبة الملفنة. وهما كتابان جليلان يحتاجُ اليها الفقهاء والمحامون ليتخلّصوا من بعض المشاكل الفقهيّة الاسلاميّة

ل. ش

Comte Léon Ostrorog, El Mawerdi. Le droit du Califat. Introduction, traduction de l'arabe et notes, *nouvelle édition*, *in*-12, 185 *pp.*, *Paris. Éd. Leroux*, 1925, *Prix* 8 *fr*.

حقّ الخلافة

هذا احد فصول كتاب الماوردي المعروف بالاحكام السلطانيّة نقلهُ الى الفرنسوية الكونت اوستروروغ وقدّم عليه مقدّمةً في الفقه الاسلامي. وهو موضوعٌ قد كثر فيه على عهدنا القال والقيل فلا بدَّ ان يُسَرّ بهِ المستشرقون وسواهم لاسيا انهُ يتحاشى المسائل السياسيّة ويقتصر على البحث النظري فلا يدَع منهُ صغيرة او كبيرة إلّا

ذكرها كبحثهِ مثلًا (ص ٢١) من صحّة مبايعة الحائنة أيجوز ان يُختار وهو ممنوّ بالصمم لو يجوز اختياره ان كان فقط ثقيل السمع الى غير ذلك من دقائق الابحاث. ومما لم يُصِب فيه جناب متولّي نشر الكتاب قوله بان الوهابيين قومٌ من الخوارج والصواب انهم جارون على مذهب الامام احمد بن حنبل ه. ل

Choucri Cardahi: Le droit des Pays sous mandat français en Orient dans ses rapports avec les législations étrangères. *Extrait. Agen*, 1925, *pp.* 25

حقوق البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي

ليس هذا الدرس سوى مقدّمة لما توخّى جناب الاستاذ شكري قرداحي احد معلّمي مدرسة الحقوق الفرنساويّة تعليمهُ للمتخرّجين تحت نظارتهِ في السنة المدرسيّة الاخيرة فكان لنشرها احسن وَقع لدى علماء الفقه الذين اثنوا على كاتبها اعطر الثناء واستبشروا خيرًا بكتابة احد الشرقيين في موضوعٍ أصبح اليوم مدعاةً للبحث والجدال فوجدوهُ راسخ القدم في معلوماتهِ واضح البيان في ادلّتهِ. فما لنا إلّا ان نهنّئ نفسنا بحصول مدرستنا الحقوقيّة على مثلهِ استاذًا بارعًا عرف اساطين العلم قدره فضلًا عن الدارسين عليه

Abbé Félix Klein: La Vie de Mgr Dupont des Loges (1804-1886), 1 *vol.*, 8° *avec portrait, Libr. Bloud et Gay, Paris, Prix*, 15 *f*

ترجمة السيد ديبون دي لوج

كان على مدينة ميتس يوم استولى عليها الالمان سنة ١٨٧٠ مطران شيخ بارّ اعي الصالح يُدعى ديبون دي لوج لقي الامرّين من فاتحي المدينة وجاهد في سبيل رعيّتهِ بازاء الدولة الجديدة الى ان قضى شهيد غيرتهِ مخلّفًا في قلوب جميع ابنائهِ ذكرًا مخلّدًا. فسيرة هذا الحبر الجليل سطّرها بقلمهِ احد كبار الكتبة الكاهن فليكس كلين صاحب التآليف العديدة التي تكرّرت طبعاتها ونال بعضها جوائز الاكادمية الفرنسوية لحسن سبكها ووفرة معلوماتها. وليس هذا الكتاب الجديد دون تآليفه السابقة حسنًا وجدوى أقبل عليه الجمهور منذ صدوره المرّة الاولى قبل الحرب وقد زاد فوائدهُ في طبعتهِ هذه الجديدة لاسيا بتعريف محبّة المترجم لفرنسة وطنهِ ل. ش

D. G. Hesseling: HISTOIRE DE LA LITTÉRATURE GRECQUE MODERNE, traduite du néerlandais par **H. Pernot** (Collection de l'Inst. néo-hellénique, n° 1) 1 *vol.* 1924, *Paris*, *Prix* 8 *f*

تاريخ آداب اليونانيّة المدنية

هذا اول كتاب من مجموع حديث في آثار اللغة اليونانيّة الحديثة ألّفهُ الدكتور البارع الالماني هسلينغ فنقل الى الافرنسيّة عن اصلهِ الهولندي. ومدارهُ على اللغة اليونانيّة الحديثة التي ابتدأت بدخول الاتراك الى القسطنطينية فبقيت اليونان منفصلة عن اوربّة وحفظت لغتها اليونانيّة مع ما تطوّر عليها من الاختلافات فتعدّدت فيها اللهجات كلهجات اقريطش ولهجة الفنار ولهجة الجزائر الايونيّة. وهذا ما يبيّنهُ مؤلف الكتاب المذكور. ثمّ ينتقل الى الميدان اللغة اليونانيّة الحديثة التي شاعت بين اليونان منذ استقلال بلادهم قبل ٩٥ سنة. وهي لا تزال في تطوّرها ولم تبلغ قرارًا ثابتًا

Stanislas Slawski: L'accès de la Pologne à la mer et les intérêts de la Prusse orientale : 9 *Tableaux et Carte hors texte in-16*, *Paris*, 1925, *Prix* 9 *f*., *Ed. Bossard.*

نفوذ بولونية الى البحر ومصالح بروسية الشرقية

خاب أمل بولونية في معاهدة فرسايل اذ لم تنل مينا دنتزيغ الذي كانت تطلبهُ ولم تعطَ إلّا منفذًا واحدًا على ساحل قفر لا انيس فيهِ ولا مرفأ بل لم تُنشئهُ من جديد. وصاحب هذا الكتاب يبيّن ما كان لبولونية من الحقوق في طلبها دنتزيغ. وهو في تأليفهِ يردّ على تشكيات الالمانية التي تنقم على بولونية تملكها على اراضٍ تنفذ في وسط بلادها وتقسمها الى قسمين. فيبيّن انّ معظم ما يشكو منهُ الالمان علّتهُ مسألة الاقتصاد لتجارتهم وهي شكوى فارغة اذ قد أُعطيت الالمانية كامل الحرية لنقل تجارتها في وسط بولونية دون مانع يسدّ عليها الطريق ج. ل

Whitney Warren: MONTÉNÉGRO, le crime de la Conférence de la Paix, 1 *vol.*, *in-16 illustré*. *Genève*, *Atar*, 1915

دولة الجبل الاسود وتضحيتها بذنب مجمع السلام

بينا كانت بلجيكة تلاقي في نكباتها سلوانًا ثم تعويضًا كانت دولة الجبل الاسود تُعدَم الوجود وتُلاشى من خارطة اوربّة اذ التهمتها صربية دون ان تحتج

الدول الكبرى على هذا الاثم الفظيع لانشغالها بامورها الخاصّة وهـا هوذا رجل من اميركة الحرّة الدهر «وِنتي وارْن» قد رفع صوتهُ للدفاع عن حقوق دولة ·ظلومة دخلت في الحروب بجانب الدول المتحالفة فما كان جزاؤها إلّا الموت الوحيّ · بل قـل انّ العدل مات بموتها ج·ل

Dr Th. G. Simon : Die Welt des Islams und die neue Zeit. *Die Auc. Verlag in Wernigerode.* 1 *vol. in*-12. 1925, *Prix Marks*, 2, 55

عالم الاسلام في الازمنة الجديدة

هذا درسٌ اجتماعي لبشر بروتستاني الماني استوطن الهند الهولنديّة سنين طويلة قد حاول ان يبيّن لنا احوال الاسلام حاضراً · فهو يبحث عن الدين الاسلامي والجهاد واضطهاد الارمن والمنازعات حول الخلافة وتطوُّراتها · وليس في هذه الابحاث شيء جديد لاهل الشرق وانّما كتبهُ مؤلفهُ لافادة الاوربيين وخصوصاً الالمـان · وقـد استحسنّا الفصل الذي خصّهُ بمساعي المسلمين الى الاصلاح كتحرير حالة النساء بينهم ومناهضتهم للإضرار حتى انهم عرضوا وضع ضرائب على كل امرأة جديدة متى أضرّ الرجل وقد افرد الفصل الاخير للنظر على الارساليّات البروتستانيّة بين المسلمين يستفاد منها انّ نتائجها قليلة مع ما يُصرف عليها من المال ه·ل

Le caractère religieux du Ṯâr ou Vendetta chez les Arabes préislamites par **Henri Lammens.** *Extrait du Bull. de l'Inst. Fr. d'Arch. Or., Le Caire*, 1925, *pp.* 45

الثأر وسِمتهُ الدينيّة في عرف عرب الجاهليّة

انّ من يقرأ اخبار العرب في الجاهليّة يأخذه الاندهاش في إصرارهم على طلب الثأر اذا قُتِل احد من اهلهم او من قبيلتهم لا يزالون يرصدون القاتل او وليّهُ حتى يأخذوا منها معقرتهم · هذا كما هو معلوم احدى صور العدل المبنيّة على قاعدة: « السنّ بالسنّ والعينُ بالعين وكل من يأخذ بالسيف بالسيف يهلك » لكنّ العرب في الجاهليّة لم يقتصروا على ذلك وانّهم جعلوا للثار سِمةً دينية تلزم طالب الثأر ربّما يفوز بمرامه · وهذا ما بيّنهُ حضرة الاب هنري لامنس بهذهِ المقالـة المشبعة بالشواهد المثبتة لهـذا الرأي الذي لم تُلغهِ الايّام حتى في عهدنا بين اهل البـادية ومن اقوالهم: « الثار ولا ترك الثار » ل·ش

أقطع البراهين في صحّة حقائق الدين

عرّبهُ ملخّصاً عن تأليف الاب دفيفيه اليسوعي القس مبارك ثابت الراهب اللبناني

طُبع في المطبعة الكاثوليكية: بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٣٥٦)

بلغ كتاب الاب دفيفيه في الحقائق الدينيَّة طبعتهُ العشرين لوفرة الإقبال عليه وهو من انفع الكتب واثبتها برهاناً لردّ غارات الكفر وتفنيد ما يشيّعهُ اعداء الدين ترويجاً لمزاعمهم الباطلة. وقد اختار حضرة القس مبارك ثابت الديراني اللبناني لُباب ابحاثهِ التي تهم خصوصاً اهل الشرق وعرّبها تعريباً فصيحاً شائقاً وجمعها في هذا الكتاب بعد ان نُشرت تباعاً في جريدة البشير. وهو خير شقيق لكتاب سابق سعى حضرتهُ الى تعريبهِ عن القائد الافرنسي مانيه تحت عنوان ردود العقل المستقيم ل. ش

خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية

تأليف شحاده خوري ونقولا خوري

طُبع في مطبعة بيت المقدس في القدس الشريف سنة ١٩٢٥ (ص ٣٩٠)

معظم هذا التاريخ غارة شعواء يوجّهها كاتباهُ الاديبان على اليونان اصحاب اخوية القبر المقدّس المهتضمين لحقوق الروم الوطنيين. وباقي الكتاب قليل الجدوى للتاريخ الصحيح فانَّ اغلاطهُ تكاد لا تُحصى. ليس الارمن من اشياع النساطرة كما زعم المؤلفان (ص ٢٤) لا صحَّة لعهد عمر بن الخطّاب المذكور (ص ٤١). كان خلفاء بني اميَّة افضل من سواهم في معاملة المسيحيين في فلسطين على خلاف ما روياه (ص ٤٨) لم يُعفِ الخليفة يزيد املاك السَّمرة من الجزية بل بالعكس اقرَّها عليهم (ص ٤٩). ان ما ذكراهُ عن فظائع الصليبيين عند فتح بيت المقدس منقول عن تآليف غير صادقة بالغة التطرُّف (٦٩—٧٠). وقد عادا في محلّ آخر الى ذكر نار سبت النور قادعيا صحتها وقد بيّنت مجلّة المشرق مراراً كذبها الفاضح باقرار الروم انفسهم. ومن اغلاطها المضحكة انهم دعَوا غي دي لوسنيان ملك اورشليم باسم غوردون (ص ٧٦) وجعلا الملك فرنسيس الاوَّل امبراطوراً وخلطا خلفهُ هنريكس الثاني

مع هنريكس الثامن ملك انكلترة (ص ١١٦—١٢١) فنرى ان قيمة الكتاب زهيدة أما اوهامه في حقّ الكاثوليك فكثيرة يروي كحقائق ثابتة ما ظهر كذبه على رؤوس الملأ لكل عين

الاب ه. لامنس

الزوجة الامينة امام القضاء: دعوى عفيفة عوّاد

مباحث قضائية ودروس اجتماعية لحضرة الخوري منصور عوّاد

طُبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٥ (ص ٣٢٨ + ١٥)

لعلّ هذا التأليف اوّل كتاب اطّلعنا على كل محتوياته دون ان يفوتنا منها سطرٌ. فكان يتنازع فكرنا في قراءته عاملان متناقضان عاملُ الأَنفة والكراهية بإزاء الخداع والخبث وضروب الغشّ. وعاملُ الرحمة والشفقة بإزاء الزوجة الامينة الصادقة والمظلومة. وقد اخذنا العجب كيف كادت هذه الدعوى تستغرق نحو ثلث سنوات ووجه الحقّ فيها ظاهر لكل ذي عيان. على ان الحقّ قد انتصر اخيراً على الرغم من كل الموانع القائمة في سبيله فصدر الحكم النهائي في المحاكم الشرعية بتذنيب خليل متري برباري وثبوت حقوق السيدة عفيفة عوّاد وقد احسن مصنّف هذا الكتاب بتدوين تفاصيل الدعوى باجمعها ليكون عبرةً لكل معتبر وتبقى حقوق سرّ الزواج مرعيّة مصونة في كل الدعاوي الشبيهة بها

ل. ش

المؤامرة اليهوديّة على الشعوب: المقرّرات الصهيونية

نقلها من الافرنسية الخوري انطون يمين

طُبع في مصر سنة ١٩٢٥ (ص ٢٦٦)

نشرت مجلة المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٧٦٨ و ٢٣ [١٩٢٥]: ١١٧). مقالتين واسعتين في الصهيونية وماضيها وحاضرها ومستقبلها وغاياتها السياسيّة وهذه المقرّرات الصهيونية تزيد القرّاء علماً بمكنونها وحقيقتها. وما الصهيونيّة الّا فرعٌ من دوحة كبيرة تقصد مدّ ظلالها على انحاء المعمور نريد بها الدوحة اليهوديّة التي يسمي اصحابها

بضروب الدسائس الى ان يتسيطروا على العالم ليحملوهُ نيرهم الثقيل. وهذا ما قصد اليه صاحب الكتاب الفرنساوي «المؤامرة اليهودية على الشعوب» ليبيّن الخطر اليهودي فقد احسن حضرة الخوري انطون يمين بتعريب هذا الكتاب ليأخذ اصحاب الوطن حذرهم من الخطر المذكور الذي اصبح يتهدّد بلادنا لأنَّ الصهيونية والبولشفية والشيوعيّة والماسونية كلها مظاهر ذاك الخطر فإيانا ان ننخدع بتلك المظاهر ونُهمل عن مناهضتها. يُطلب الكتاب من المعرِّب في مكتبة يوسف صفير في بيروت

كلمة في اللغة العربية

خطبة خطبها اسعاف النشاشيبي من اعضاء المجمع العلمي في دمشق

طُبع في مطبعة بيت المقدس في القدس سنة ١٩٢٥ (ص ١١٧)

الاستاذ النشاشيبي من انصار اللغة العربية المعدودين في القطر الشامي لهُ عدّة آثار تُعرب عن حبّه للغتنا الشريفة. وهذه الخطبة التي القاها في دار جمعيّة الرابطة الشرقية في القاهرة شاهد جديد على انتصاره لها بازاء مهتضمي حقوقها وتقديره لمقامها السامي بين اللغات والمَلَهُ تجاوز في بعض اوصافهِ حدود الحقّ وهو يجهل لغات العالم العديدة ولكن كيف يُلام من يفضّل امَّهُ على سائر النساء. وقد اعتنى بافاريقها وزيّن على قضاها
ل. ش

الذكرى : وهي قصائد الشاعر الانكليزي الفرد تنسون

نقلها الى العربية انيس الخوري المقدسي

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ١٨٣)

الفرد تنسون احد نوابغ الشعراء الانكليز في القرن التاسع عشر يتغنّى بشعره كل الناطقين باللغة السكسونية وقد بلغ به شعرهُ ان تختارهُ الملكة فكتوريا كشاعر العرش. وآثارهُ الشعريّة عديدة كلّها جميلة لفظاً ومعنى. وقد اختار جناب انيس افندي الخوري المقدسي استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية مجموعة من

تشانده دعاها ذاك الشاعر الذكرى (in memoriam) وضمّنها ارقّ العواطف واحسن التصوّرات ذكرًا لاحد اصدقائهِ المسمّى ارثر هلّم فمرثيها استاذنا واخرجها بالشعر العربي الحرّ الذي يأخذ بمجامع القلب مع طول ادوارها البالغة ١٣١ دورًا. فجاء الكتاب من افضل ما تسرّح فيه الناشئة انظارها وتشحذ بهِ ذهنها ل. ش

شذرات

﴿قبطة السيد كيرلّس التاسع مغبغب﴾ لم يطل يُتم الكنيسة الملكيّة الكاثوليكية فان مجمع السادة الاساقفة البالغ عددهم اربعة عشر انتخبوا لرئاسة كنيستهم خير خلف لخير سلف ألا وهو اسقف زحلة والفرزل والبقاع السيد الجليل غبطة كيرلّس التاسع مغبغب الذي منذ ٢٦ سنة يرعى بنيهِ بهمّة وتفانٍ لم يعرفا الملل فأعرب بحسن تدبيرهِ أنهُ ذو جدارة تامّة برعاية كنيسة ملّتهِ جمعاء. وكل يعرف ما لغبطتهِ من الاعمال المشكورة وما تجشّمهُ من الاسفار الطويلة وما تكلّفهُ من الاتعاب المضنكة لخير ابرشيتهِ وصيانتها من اضرار العلمانية وغارات الماسونية فالامل معقود على اقتدارهِ بان يولي الكرسي البطريركي الانطاكي والاسكندري والاورشليمي فخرًا جديدًا فيزيدهُ نموًّا وفضلًا وعساهُ يرى الاخوة المنفصلين يعودون في ايامهِ الى حظيرة امّهم الكنيسة الرومانية التي فيها وحدها يجدون الراحة والامان كاخوتهم الروم الكاثوليك المشمولين بنظر خاصّ من الكرسي الرسولي

﴿مأثرة جديدة للحبر الاعظم بيوس الحادي عشر﴾ انَّ كبير احبار الكنيسة الكاثوليكية مع اهتمامهِ بكل شؤون العالم الدينيَّة لا يذهل عن خدمة العلم والآداب كما ثبت في العام الماضي بانشائهِ لمعرض الرسالات الكاثوليكية. ومن مآثرهِ التي لم تسبقهُ اليها احدى الدول انهُ امر بنقش اكبر خوارط العالم المعروفة على جدران الفاتيكان تمثل الواحدة صورة الارض وهي تنبسط على مساحة ٨٦ مترًا مربعًا بمقياس $\frac{٣}{٥٠٠,٠٠٠}$ وبازائها على جدار آخر خارطة الصين الهنديّة بمقياس $\frac{١}{٧٥٠,٠٠٠}$ مع خارطة افريقية الشمالية مقياسها $\frac{١}{٢٥٠,٠٠٠}$ وهناك خوارط اخرى منها خوارط تقيس الواحدة

٢٥ مترًا مربعًا ترسم صورة افريقية الغربية وافريقية الداخلية . وقد عهد برسم هذه الخوارط لاحد كبار المهندسين السنيور مركتي سلفازياني (Marchetti Selvazziani)

﴿الرياضة السنوية في الفاتيكان﴾ كل حاشية الحبر الاعظم مع عمّال البلاط البابوي حضروا الرياضة السنوية في قصر الفاتيكان من ٢٦ ت ٢ الى ٥ ك ١ وقد دعي ابوان يسوعيان لالقاء مواعظها . وكان الحبر الاعظم على الرغم من كلّ اشغاله في هذه السنة اليوبيليّة في مقدّمة الذين حضروا هذه الرياضة وهو يمشي على آثار خالفه وسميه بيوس العاشر الذي يُعقد الامل بتثبيته طوباويًا عمَّا قليل لكثرة ما يجري بشفاعته من الكرامات . والعاريض المرسلة من العالم الكاثوليكي لتثبيته قد انافت على الالفين بعضها للكرادلة والاساقفة والجمعيات الرهبانية

﴿التوفونغرافات المجسّمة للصوت﴾ مما سبق اليه الكاثوليك الاميركيون في كنائسهم لتقوية صوت الواعظ في كل انحائها قد اخذ الفرنسيون يجرونه في كنائسهم ايضاً فوضعت آلات من التوفونغراف في كنيسة نوتردام الكاتدرائية وفي كنيسة سان سولبيس وغيرهما بحيث لا يفوت احدًا من الحضور كلام الواعظ

﴿اكبر نيزك وقع على الارض﴾ في مقاطعة اريزونا في اميركا تحت تلّ يُعرف بـكون (Coon) على عمق ثلثمائة متر وجد نيزك سقط على الارض من الفضاء قبل الوف من السنين فتألفت شركة لكشفه وتحليل عناصره فقطعوا منه نماذج استدلّوا منها على ذلك فثبت لهم انَّ ثقل النيزك المذكور يبلغ نحو الف مليون (مليار) طنّ وانه يحتوي على معادن ثمينة من البلاتين من اعزّ المعادن المعروفة سابقًا فوجدوا انَّ كلّ طنّ من النيزك يحتوي ستة غرامات من البلاتين فيكون مجموع ما في النيزك منه اكثر من ٥٠٠٠ طنّ وذلك ما يساوي خمسمائة مليار من الفرنكات . ووجدوا كذلك عددًا عديدًا من قطع الماس الصغيرة . والشركة ساعية اليوم في استثماره

﴿البعثة الاميركيّة في السامرة﴾ انَّ الحفريّات التي يتولى الاميركيون اجراءها في مدينة السامرة اتت بفوائد جمّة عن احوال بني اسرائيل في زمن الملك آحاب وايليا النبي في القرن التاسع قبل المسيح فوجدوا قريبًا من مكان القصر الملكي ستين قطعة مكتوبة على خزفيات عليها كتابات من اقدم ما يُعرف من القلم العبراني وذلك في عهد انفصال القلم المذكور عن القلم الفينيقي

أسئلة وأجوبة

س - سأل الاديب ل. م احد قرّاء الهدية ما رأيُنا في «عهد عمر» الذي ذكرتْهُ هذه الجريدة في عددها ١٠٩٧ في ٢٥ ك ١ ؟

عهد عمر والهدية

ج - هذا العهد الذي نشرتْهُ «الهديَّة» بالا ثر النفيس مصنوع كما بيَّناهُ ذلك في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٦٧٩—٦٨٠) ونعرف منهُ ثلث نسخ كلّها متباينة لا صحَّة لها

س - وعاد السيد المقرئي محتجاً على تفسيرنا «الشبْر» في شعر العجّاج (المشرق ٢٣ : ٨٥٥) بمعنى الانجيل والقربان مستنداً على بيتٍ من شعر ذي نؤاس دلَّهُ اليه صديقنا العلاّمة اغناطيوس كراتشقوفسكي جاءت فيهِ هذه اللفظة بمعنى «الخبر» حيث يقول :

«فاقة يعطيك الشبْرَ وفي إعاديك الظفَرْ»

لفظة الشبر في شعر العجّاج

ج - نجيب على هذا الاعتراض أنّنا لم ننكر ان «الشبر» معناهــا ايضاً الخير وانَّما قلنا انها في شعر العجّاج يراد بها الانجيل والقربان فتدلّ على نصرانيتهِ وذلك لاسباب : اوّلًا لان الشاعر افتتح باللفظة قصيدتهُ فاراد الدلالة لا على خيرٍ عموماً بل على اكبر كل الخيور اي الانجيــل والقربان كما يفتتح المسلمون كلامهم بالبسملة . ثانيــاً لان شرح الشبْر بمعنى الانجيل والقربان سبق كل شرح آخر اذ يرتقي الى الخليل وابن السكّيت كما بيَّنّا . ثالثاً لانَّ العجاج من تميم وتنظر في بيته الى بيت عدي بن زيد الشاعر النصراني التميمي مثلهُ الذي حلفَ بالشبْر بمعنى الانجيل والقربان كما فسَّر اللغويون كلامــهُ . رابعــاً لان لفظة «الشبر» منقولة عن السريانية ومعناها فيها أمَّا الانجيل وامَّا القربان (المشرق ٢٣ : ٤٤١)

س - وسأل آخر ما سبب تعييد الروم الكاثوليك لعيد حبل العذراء بلا دنس في ٩ كانون الاوّل على خلاف بقية الكنائس المحتفلة بهِ في ٨ منه ؟

عيد الحبل بلا دنس في ٩ ك ١ عند الروم الكاثوليك

ج - اجبنا على هذا السؤال في العدد الاوّل من المشرق من سنته الاولى (ص ٤٧) حيث بيَّنّا انَّ الروم سبقوا الى الاحتفال بهذا العيد في ٩ ك ١ امَّا اللاتين فجعلوهُ في ٨ منهُ بناء على رؤيا لاحد النسّاك ولتتمَّة التسعة اشهر بينهُ وبين ميلاد العذراء . ل . ش